فوائد ومعاني
بعض الأذكار

د. عبد الملك القاسم

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ
ⓒ فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبد الملك محمد عبد الرحمن
فوائد ومعاني بعض الأذكار./ عبد الملك محمد القاسم. ـ الرياض،
١٤٢٨هـ
٢٢٤ ص؛ ١٧×٢٤
ردمك: ٨ ـ ٧٦٦ ـ ٥٣ ـ ٩٩٦٠
١ ـ الأدعية والأذكار أ ـ العنوان
ديوي ٢١٣،٩٣ ٤٨٧٦/١٤٣٨

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٤٨٧٦
ردمك: ٨ - ٧٦٦ - ٥٣ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

دار القاسم للنشر والتوزيع
المكتب الرئيس: **هاتف:** ٤٠٩٢٠٠٠ ـ **فاكس:** ٤٠٣٣١٥٠
فروع دار القاسم للنشر
الـربـوة **هاتف:** ٤٤٥٢٠٤٥ ـ **فاكس:** ٤٤٥٢٠٤٥
جـدة: **هاتف:** ٦٠٢٠٠٠٠ ـ **فاكس:** ٦٣٣٣١٩١
الـدمـام: **هاتف:** ٨٤٣١٠٠٠ ـ **فاكس:** ٨٤١٣٠١١
www.dar-alqassem.com
sales@dar-alqassem.com

فوائد ومعاني
بعض الأذكار

د. عبد الملك القاسم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أمر الله ـ تعالى ـ عباده، بذكره وشكره، في آيات كثيرة، وقد وردت جملة من الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه في كتاب «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين» للإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقد قمت ـ ولله الحمد ـ بشرح كتاب «رياض الصالحين» في ستة مجلدات. ولما رأيت من حرص الناس على الذكر بأنواعه لفظاً ومعنى ووقتاً. قمت بإفراد باب: فضل الذكر والحث عليه من كتابي (شرح رياض الصالحين) رغبة في معرفة وتدبر معانيها وألفاظها.

أسأل الله أن يجعله صواباً خالصاً؛ وأن ينفع به.

كتاب الأذكار

٢٤٤ ـ باب فضل الذكر والحثِّ عليه

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ كتاب الأذكار؛ باب فضل الذكر والحث عليه.

والذكر شرعاً: هو قول سيق لثناء أو دعاء، وقد يستعمل لكل قول يثاب قائله.

قال ابن حجر: «يطلق الذكر ويراد به المواظبة على العمل؛ أوجبه الله أو ندب إليه، ويكون باللسان: كالتسبيح والتحميد، وبالقلب كالتفكير في أدلة الذات والصفات، والجوارح؛ كالاشتغال بالطاعات من صلاة وزكاة وحج».

وقال القاضي: «ذكر الله ضربان: ذكر بالقلب، وذكر باللسان.

وذكر القلب نوعان:

أحدهما: وهو أرفع الأذكار وأجلها؛ الفكر في عظمة الله وجلاله وجبروته وملكوته، وآياته في سماواته وأرضه، ومنه الحديث: «**خير الذكر الخفي**» والمراد به هذا.

الثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي؛ فيتمثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه، ويقف عند ما أشكل عليه، وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار، ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث»

قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. أي؛ ذكر العبد أفضل من كل شيء. والصلاة كما كانت مشتملة على ذكره كانت أكبر من غيرها من الطاعات.

وقيل: المراد ذكر الله عبيده برحمته أكبر من ذكرهم إياه بطاعته.

وقيل: الذكر من الله هو حسن قبوله منه والمجازاة له بالحسنى.

قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قال ابن عباس «اذكروني بطاعتي، أذكركم بمعونتي».

وقيل: أذكركم؛ أرحمكم واغفر لكم.

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قال مجاهد: «أمر أن يذكروه في الصدور، وبالتضرع إليه في الدعاء، والاستكانة؛ دون رفع الصوت والصياح بالدعاء».

﴿فِي نَفۡسِكَ﴾ أي؛ سراً.

﴿تَضَرُّعًا﴾ أي؛ تذللاً.

﴿وَخِيفَةً﴾ أي؛ خوفاً.

﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ﴾ أي؛ أقل من الجهر.

قال ابن عباس: «أن تسمع نفسك دون غيرك». وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء وجهراً بليغاً.

﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾ أول النهار.

﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ آخره؛ وخصا بطلب الذكر فيهما لفضلهما، ولأن بدء اليوم وختمه بالبر والعمل الصالح مفض لغفران ما يقع بينهما من المخالفات.

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

قال قتادة: «افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون عند الضرب بالسيوف».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢] الآية.

﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ أي؛ نزهوه عما لا يليق به.

﴿بُكۡرَةٗ﴾ أول النهار.

﴿وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ آخره خصوصاً.

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

١٤٠٨ ـ وعَنْ أبي هُريرةَ، ـ رضي الله عنْهُ ـ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَلِمتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمنِ: سُبْحانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبحانَ الله العظيمِ» [متفقٌ عليه].

❊ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث؛ في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«كلمتان» المراد بالكلمة هنا المعنى اللغوي، وهو الجملة المفيدة.

«خفيفتان على اللسان» أي؛ سهلتان.

قال الطيبي: «الخفة مستعارة للسهولة، شبه سهولة جريان هذا الكلام على اللسان بما يخف على الحامل من بعض المحمولات ولا يشق عليه، فذكر المشبه به وأرد المشبه».

«ثقيلتان في الميزان» الثقل فيه على حقيقته لأن الأعمال تجسم عند الميزان، والميزان هو ما يوزن به أعمال العباد يوم القيامة.

قال ابن حجر: «وصفهما بالخفة والثقل؛ لبيان قلة العمل وكثرة الثواب».

«حبيبتان إلى الرحمن» أي؛ محبوب قائلهما، وخص لفظ الرحمن بالذكر لأن القصد من الحديث بيان سعة رحمة الله بعباده، حيث يجزي على العمل القليل بالثواب الكثير الجزيل.

«سبحان الله وبحمده» الواو للحال. أي؛ أسبحه متلبساً بحمدي له من أجل توفيقه لي، وقدم التسبيح لأنه من باب التخلية، والحمد من باب التحلية.

قال ابن عثيمين: «ومعنى «سبحان الله وبحمده» أنك تنزه الله ـ تعالى ـ عن كل عيب ونقص، وأنه الكامل من كل وجه ـ جل وعلا ـ، مقروناً هذا التسبيح بالحمد الدال على كمال إفضاله وإحسانه إلى خلقه ـ جل وعلا ـ وتمام حكمته وعلمه وغير ذلك من كمالاته».

«سبحان الله العظيم» كرر التسبيح تأكيد للاعتناء بشأن التنزيه من جهة كثرة المخالفين الواصفين له بما لا يليق به، بخلاف صفات الكمال فلم ينازع في ثبوتها له أحد.

والمعنى: ذي العظمة والجلال، فلا شيء أعظم من الله سلطاناً ولا أعظم قدراً، ولا أعظم حكمة، ولا أعظم علماً، فهو عظيم بذاته، وعظيم بصفاته ـ جل وعلا ـ.

قال ابن بطال: «هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر، إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال، كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام فلا تظن أن من أدمن الذكر، وأصر على ما شاءه من شهواته، وانتهك دين الله وحرماته، أنه يلتحق بالمطهَّرين المقدسين، ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه، ليس معه تقوى ولا عمل صالح».

وفي الحديث: حض على ملازمة هذا الذكر، وقد جمع ثلاثة أمور؛ أنهما خفيفتان على اللسان، وثقيلتان في الميزان، وحبيبتان إلى الرحمن.

وفيه: بيان سعة رحمة الله بعباده، حيث يجزي على العمل القليل بالثواب الجزيل.

وفيه: إثبات صفة المحبة لله ـ تعالى ـ.

١٤٠٩ـ وعَنْهُ ـ رضي الله عنْهُ ـ قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لأن أَقُولَ سبْحانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، ولا إلَه إلاَّ الله، وَالله أكْبرُ، أَحبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَت عليهِ الشَّمْسُ» [رواه مسلم].

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال:

«لأن أقول» اللام مؤذنة بالقسم المقدر قبلها لتأكيد ما بعدها عند السامع لأن المقام يدعو لذلك.

«سبحان الله» التسبيح: التنزيه لله عما لا يليق به.

«والحمد لله» الثناء عليه بنعوت الكمال.

«ولا إله إلا الله» أي؛ لا معبود بحق إلا الله.

«والله أكبر» التكبير: التعظيم، وهو ـ عز وجل ـ أكبر من أن يوصف بما لا يليق.

«أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» كناية عن الدنيا، وما حوت من المشتهيات والملذات.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: «أي؛ أن تكون لي الدنيا بكليتها فأنفقها في سبيل الله، وفي أوجه البر، أو الخير، وإلا فالدنيا من حيث هي دنيا؛ لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وكذلك عند أنبيائه وأهل المعرفة فكيف تكون أحب إليه من ذكر أسمائه وصفاته».

وإنما كانت هذه الأذكار خيراً من الدنيا؛ لأنها من أعمال الآخرة، وثوابها لا يبيد، وأجرها لا ينقطع.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ: «المحبوس من حبس قلبه عن ربه ـ تعالى ـ، والمأسور من أسره هواه».

قال ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ عن الذكر: «حتى تتيقن أن المسألة توفيق، انظر إلى الذكر من أسهل الطاعات لكن لا يوفق له إلا القليل».

قال العلماء: «أفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، والذكر أفضل من الدعاء، لأن الذكر ثناء على الله ـ عز وجل ـ يحميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته فإين هذا من هذا».

وقال ابن باز ـ رحمه الله ـ: «والإكثار من ذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ ودعائه ـ سبحانه ـ مستحب في جميع الأوقات والمناسبات، وفي الصباح والمساء، وعند النوم واليقظة، ودخول المنزل، والخروج منه، وعند دخول المسجد والخروج منه».

وفي الحديث: أن ذكر الله: تسبيح وتحميد، وتهليل، وتكبير.

وفيه: أن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ هن الباقيات الصالحات.

١٤١٠ـ وعنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «منْ قال لا إلـه إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، لهُ المُلكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، في يوم مِائة مَرَّةَ كانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشر رِقَابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مائَةُ حَسَنة، وَمُحيت عنهُ مائة سيِّئَة، وكانت له حِرزاً منَ الشَّيطَانِ يومَهُ ذلِكَ حتى يُمسي، ولم يأْتِ أَحَدٌ بأَفضَل ممَّا جاءَ بهِ إلاَّ رجُلٌ عَمِلَ أكثَرَ منه»، وقالَ: «من قالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبحمْدِهِ، في يوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطاياهُ، وإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» [متفقٌ عليه].

❊ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله وحده» كلمة التوحيد، وهي مشتملة على النفي والإثبات.

«لا شريك له» أي؛ فلا شريك له في شيء من صفاته ولا في شيء من أفعاله، ولا في شيء من ملكه.

«له الملك» أي؛ السلطنة والقهر له دون غيره.

«وله الحمد» أي؛ جميع حمد وثناء أهل السموات والأرض، وجميع المحامد.

«وهو على كل شيء قدير» أي؛ ومن كمال عظمته؛ كمال قدرته التي يقدر بها على كل شيء، وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة، كالسموات والأرض. فلا يمنعه من فعله مانع ولا يحول بينه وبينه عجز.

«في يوم مائة مرة» هو شرعاً ما بين طلوع الفجر الصادق وغروب الشمس.

«كانت له عدل عشر رقاب» أي؛ في ثواب عتق عشر رقاب.

«وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة» أي؛ رفعت من ديوان الحفظة، أو محي عنه المؤاخذة بها فلم يعذب بها.

«وكانت له حرزاً» الحرز الموضع الحصين والعوذة.

أي؛ أن الله يحفظه من الشيطان في ذلك، فلا يقدر منه على زلة ولا وسوسة ببركة تلك الكلمات.

«يومه ذلك حتى يمسي» أي؛ وأنه يكون في عوذة من الشيطان مدة بقاء النهار. وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

«ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به» من الأذكار المأثورة.

«إلا رجل عمل أكثر منه» بأن زاد على المائة من التهليل، فكلما زاد منه زاد الثواب، وسمي ذلك عملاً لأنه عمل اللسان.

وقال ﷺ:

«ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة» التسبيح: هو التنزيه عما يقول الظالمون، قال علي بن أبي طالب ـ سبحان الله: «تعظيم جلال الله».

وقال مجاهد: التسبيح: «انكفاف الله من كل سوء».

«حطت خطاياه» مبني للمجهول، والمراد به ـ سبحانه وتعالى ـ إذ هو غافر الذنب وقابل التوب.

«وإن كانت مثل زبد البحر» أي؛ رغوته وما يطفو على وجهه.

قال الصنعاني: «وظاهره ولو كبائر، والعلماء يقيدون ذلك بالصغائر؛ ويقولون لا تمحى الكبائر إلا بالتوبة».

إن قيل: هذا يقتضي فضل التسبيح على التهليل لأن المعلق على التهليل محو مائة سيئة، وعلى التسبيح حط خطاياه وإن كثرت. فالجواب: أنه لم يقتصر في ثواب التهليل على تكثير العدد المذكور من الخطايا كما اقتصر

عليه في ثواب التسبيح، بل ضم إليه عتق عشر رقاب، وتقدم أن عتق الواحدة فيه غفر كل الخطايا لحديث «**من اعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار**» فساوى عتق الرقاب فيما ذكر ثواب التسبيح المرتب عليه وزاد باقي ما ذكر».

وفي الحديث: بيان سعة رحمة الله وفضله وجوده وكرمه. يعطي على القليل كثيراً.

١٤١١ ـ وعَـنْ أبي أيـوبَ الأنصَاريِّ ـ رضي الله عَنْهُ ـ عَن النبي ﷺ قـال: «مَـنْ قالَ لا إله إلاَّ الله وحْدهُ لا شَـريكَ لـهُ، لَـهُ المُلْـكُ، ولَـهُ الحَمْدُ، وَهُـو على كُلِّ شَـيءٍ قَدِيرٌ، عشْـر مرَّاتٍ: كان كَمَنْ أَعْتَقَ أرْبعَةَ أَنفُسٍ مِن وَلِدِ إسْماعِيلَ» [متفق عليهِ].

❋ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال:

«من قال لا إله إلا الله» كلمة التوحيد، وهي مشتملة على النفي والإثبات؛ فقوله «لا إله» نفي للألوهية عن غير الله، وقوله **«إلاالله»** إثبات للألوهية لله ـ تعالى ـ.

«وحده لا شريك له» لا في صفاته ولا في أفعاله، فإنما يحتاج إلى الشريك الفقير الضعيف، والله هو الغني القوي.

«وحده» تأكيد لقوله لأن الواحد لا يكون له شريك.

«له الملك» بضم الميم يعم، والملك بكسر الميم يخص.

«ولـه الحمـد» أي؛ جميع حمد وثناء أهل السـموات والأرض، وجميع المحامد. ويحمد على تمام ملكه فما من نعمة إلا وهو المنعم بها ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النحل: ٥٣] كما يحمد على عدله في ملكه، فهو ليس كملوك الدنيا يسري عليهم الظلم والحق، ولو أراد أن يعطي من منع، ويمنع من أعطى لفعل فهو لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فأثبت هذا الذكر لله ـ تعالى ـ وحدانيته في ألوهيته، ونفيها عما سواه، وتمام الملك، والقدرة الذين يدلان على تمام الغنى والعدل والحكمة.

«وهو على كل شيء قدير عشر مرات».

«كان كمن اعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل» أي في الأجر؛ فيه المبالغة في التطهير من تبعات الذنب.

قال القرطبي: «إنما يحصل الثواب الجسيم لمن قام بحق هذه الكلمات، فاستحضر معانيها بقلبه، وتأملها بفهمه، ثم لما كان الذاكرون في إدراكاتهم وفهومهم مختلفين؛ كان ثوابهم بحسب ذلك».

قال الطيبي: قوله «من ولد إسماعيل» تتميم ومبالغة في معنى العتق لأن فك الرقاب أعظم مطلوب، وكونه من عنصر إسماعيل الذي هو أشرف الخلق نسباً أعظم وأمثل».

وقال ابن عثيمين: «لأن أشرف الناس نسباً هم العرب، وهم بنو إسماعيل؛ وأما العجم فلهم آباء آخرون، ولكن ذرية إسماعيل هم العرب».

في الحديث: دليل على أن الكافر الأصلي من ولد إسماعيل يرق كالكافر الأصلي من غيرهم، وخص ولد إسماعيل ـ عليه السلام ـ لشرفهم.

وفيه: فضل تحرير الرقاب، وبيان فضل الذكر.

١٤١٢ ـ وعنْ أبي ذَرٍّ ـ رضي الله عَنْهُ ـ قالَ: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «ألا أُخْبِرُكَ بِأَحبِّ الكَلامِ إلى اللهِ؟ إنَّ أحبَّ الكَلامِ إلى الله: سُبْحانَ الله وبِحَمْدِهِ» [رواه مسلم].

❁ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

والذكر من أنفع العبادات وأعظمها؛ وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ على أهل الذكر، فقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال ـ سبحانه ـ حاثاً على مداومة الذكر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

وفي الحديث؛ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ﷺ:

«ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله» أي؛ بأكثره محبوبية عنده. أي؛ أبلغه إثابة، والمراد بالكلام الأذكار المأثورة.

«إن أحب الكلام إلى الله» وذلك لاشتماله على التقديس والتنزيه والثناء بأنواع الجميل.

«سبحان الله» قال ابن تيمية: «الأمر بتسبيحه يقتضي أيضاً تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له؛ فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يُحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده».

وسُئل ابن عباس فقيل له: ما «سبحان الله؟» قال: «كلمة رضيها الله ـ عز وجل ـ لنفسه، وأمر بها ملائكته، وفزع لها الأخيار من خلقه».

«وبحمده» الحمد؛ هو الثناء على الجميل الاختياري على وجه التعظيم، وكل من سبح الله فقد حمده.

قال ابن القيم عن الحمد: «إن الحمد وصف الرب بصفات الكمال، ونعوت الجلال؛ مع الحب والتعظيم له».

والتسبيح والتحميد من أفضل الذكر، في الحديث: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثلما قال أو زاد».

قال النووي: «هذا محمول على كلام الآدمي، وإلا؛ فالقرآن أفضل، وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق، فأما المأثور في وقت، أو حال، أو نحو ذلك، فإن الاشتغال به أفضل».

وفي الحديث: عظيم ثواب هذه الأذكار في رفع الدرجات وتكفير السيئات، والحفظ من غوايات الشيطان وذلك لاشتمالها على التقديس والتنزيه والثناء بأنواع الجميل وقيل إن ما تمحوه هذه الأذكار من السيئات إنما هو الصغائر، وأما الكبائر فلا بد لها من التوبة.

١٤١٣ ـ وعَنْ أبي مالك الأشْعَرِيِّ ـ رضي الله عنْهُ ـ قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان، والحمدُ لله تَمْلأُ المِيْزانَ، وسُبْحَانَ الله والحَمْدُ لله تَمْلآنِ ـ أو تَمْلأُ ـ ما بَيْنَ السَّمَواتِ والأرْضِ» [رواهُ مسلم].

❁ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد جملة من الأحاديث في باب الذكر وفضله.

وجاء في الحديث: «الطهور شطر الإيمان» أي؛ نصفه، لأن خصال الإيمان قسمان: ظاهرة، وباطنة، فالطهور من الخصال الظاهرة، والتوحيد من الخصال الباطنة.

وفسر الطهور: بترك الشرك والذنوب والمعاصي والتخلي عنها، وفُسِّر بالوضوء للصلاة.

وقد ابتدأ النبي ﷺ وصيته بالطهور، وهو شرط الصلاة، ومفتاح من مفاتيح أبواب الجنان، ويشمل تطهير الثياب والبدن والمكان.

ثم انتقل الحديث إلى الترغيب في ذكر الله ـ عز وجل ـ؛ وبين عظيم الأجر المترتب على هذه الكلمات الطيبات.

وفي قوله: «والحمد لله تملأ الميزان» لما اشتملت عليه من التنزيه لله ـ تعالى ـ وتوحيده، والافتقار إليه. والميزان هو ميزان الأعمال.

«وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض» وفيه فضل التحميد والتسبيح، وهو تنزيه الله ـ عز وجل ـ عن كل نقص وعيب في أسمائه وصفاته. والتحميد: وصفه بكل كمال.

وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام.

والسر في قوله «سبحان الله والحمد لله تملآن الميزان» لما اشتملت عليه من الثناء على الله ـ سبحانه وتعالى ـ والتبجيل له، وما اجتمع فيهما من التنزيه للذات الإلهية، والثناء عليها، وما يقتضيه ذلك من الافتقار إلى الله. لذلك

يستحب للعبد إذا دعا أن يقدم بين يديه الثناء الجميل، مما يكون أدعى لقبول دعائه.

قال الحسن: «المؤمن في الدنيا كالأسير، يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله».

وقد عدَّ ابن القيم ـ رحمه الله ـ أكثر من مائة فائدة للذكر في كتابه (الوابل الصيب) ومنها: أنه يرضي الرحمن ـ عز وجل ـ، ويطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، ومنها أنه يزيل الهم والغم عن القلب، ويجلب له الفرح والسرور والبسط.

ومنها أنه يقوي القلب والبدن، ويرسخ الإيمان فيه، ويفتح للقلب باب العلم بالله ـ عز وجل ـ، وأنه ينور الوجه والقلب، وأنه يجلب الرزق، وأن الملائكة تستغفر للذاكر، كما تستغفر للتائب. إلى غير ذلك من الفوائد.

وفي الحديث: فضل الوضوء والمحافظة عليه وأنه من سيما الصالحين، وكذلك بيان فضل الذكر وعظم أجره.

وفيه: دليل على إثبات الميزان الذي توزن به أعمال العباد، وأن أعمال العباد توزن.

١٤١٤ ـ وعَنْ سعْد بن أبِي وقَّاص ـ رضي الله عنْهُ ـ قال: جاءَ أَعْرَابي إلى رسُول الله ﷺ فقالَ: علِّمْني كَلاماً أَقُولُهُ. قالَ: «قُل لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شـريكَ لهُ، الله أَكْبَرُ كَبيراً، والحمْدُ لله كَثيراً، وسُـبْحانَ الله ربِّ العالمِينَ، ولا حوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَزيز الحكيم»، قال: فَهؤلاء لِرَبِّي، فما لي؟ قال: «قُل: اللهُمَّ اغْفِرْ لي وارْحمني. واهْدِني، وارْزُقْني» [رواه مسلم].

❋ الذكر سـبب لشرح الصدور، وشفاء أسـقام الأرواح والأجساد، فما استشـفي بمثل كلام الله وذكره، وما استدفعت الأسقام بمثل ذلك. قال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

ولا يـزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يـورد الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال:

(جاء أعرابي) وهو ساكن البادية. إلى رسول الله ﷺ فقال:

(علمنـي كلاماً أقوله) أي؛ ذكراً أذكره ورداً؛ ولم يقيد القول بحال ولا زمان؛ إيماء إلى أن المطلوب قول يكون شأنه العموم.

قال ﷺ:

«قـل لا إلـه إلا الله وحده لا شـريك له» قدمها على ما بعدها لأنها أشـرف قرائنها، ولذلك جعلت كلمة الإسلام ومفتاح الجنة خصوصاً.

«الله أكبر كبيراً» أي؛ له المنتهى في الكبرياء والعظمة ـ سبحانه ـ.

قال الطيبي: «أي؛ كبرت كبيراً»

«والحمد لله كثيراً» أي؛ حمداً لا يحصى.

«وسبحان الله» أي؛ تقديس وتنزه ربي الذي خلقني ورباني.

«رب العالمين» أي؛ مالك وخالق العالمين من الجن والإنس.

«ولا حول» عن المعصية.

«ولا قوة» أي؛ على الإتيان بالطاعة.

«إلا بالله العزيز» الذي لا يغالب في مراده.

«الحكيم» الموقع للأشياء مواقعها بحسب حكمته البالغة.

(قال فهؤلاء لربي) أي؛ قال الأعرابي هؤلاء الكلمات هي حق الله ـ تعالى ـ إذ هي أوصافه.

(فمالي) أي؛ فما الذي أذكره لحقي وحظي.

فدله النبي ﷺ على دعاء شمل له مصالح الدنيا والآخرة. فقال:

«قل اللهم اغفر لي» أي؛ اغفر ذنوبي السالفة وأمح سيئاتي.

«وارحمني» أي؛ ارحمني بنعمك المتوالية. وارحمني بتوفيق الطاعات في الحركات والسكنات.

«واهدني» إلى السبيل الموصل إليك، وإلى أحسن الأحوال.

«وارزقني» ما استيعن به على ذلك تغنيني عن غيرك؛ فالرزق قوام البدن وسائر وجوه الحياة. وفي حصوله ستر الوجه عن الابتذال للغير.

وفي الحديث: الحض على ذكر الله بالتهليل والتكبير والتحميد والتسبيح.

وفيه: استحباب ذكر الله والثناء عليه قبل الدعاء.

وفيه: شفقة رسول الله ﷺ على تعليم أمته ما ينفعهم وإيصال الخير لهم.

١٤١٥ ـ وعنْ ثوبانَ ـ رضي الله عنْهُ ـ قال: كان رَسُولُ الله ﷺ: إذا انْصَرَف مِنْ صلاتِه اسْتَغفَر ثَلاثاً، وقال: «اللهمَّ أَنْتَ السَّلامُ، ومِنك السَّلامُ، تباركْتَ يَاذا الجلالِ والإكرام» قيل للأَوْزاعي وهُوَ أَحَد رُواة الحديث: كيف الاستِغفَارُ؟ قال: تقول: أَسْتَغْفِرُ الله، أَسْتَغْفِرُ الله. [رواهُ مسلم].

❋ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أنه أورد الذكر بعد الصلاة.

قال:

(كان رسول الله ﷺ) (كان) تدل على المداومة والاستمرار.

(إذا انصرف من صلاته) أي؛ سلم من صلاته.

(استغفر ثلاثاً) أي؛ أسأله المغفرة لذنوبي. وإنما يستغفر الإنسان إذا فرغ من صلاته من أجل ما يكون فيها من خلل ونقص.

قال الصنعاني: «الاستغفار بعد الصلاة إشارة إلى أن العبد لا يقوم بحق عبادة مولاه، ولما يعرض له من الوسواس والخواطر فشرع له الاستغفار تداركاً لذلك»

وقال بعد الاستغفار:

«اللهم أنت السلام» أي؛ ذو السلامة من كل ما لا يليق بجلاله ـ تعالى ـ؛ السالم من المعايب والحوادث، والتغير والآفات.

والسلام: من أسماء الله ـ تعالى ـ. ومنه ـ تعالى ـ تطلب السلامة من شرور الدنيا والآخرة.

«ومنك السلام» أي؛ منك وحدك دون غيرك يرجى السلامة وتستوهب وتستفاد.

«تباركت» كثرت خيراتك، وتعاليت وتعاظمت.

«يا ذا الجلال» يا صاحب العظمة والغلبة والقهر. وأصل المعنى؛ كثرت خيراتك واتسعت، وقيل معناه البقاء والدوام.

«والإكرام» أي؛ ذو الغنى المطلق والفضل التام.

وقيل: «الذي عنده الجلال والإكرام لعباده المخلصين، وهذا من عظائم صفاته ـ تعالى ـ».

والمعنى: أي؛ المستحق لأن يهاب لسلطانه وجلاله، ويثنى عليه بما يليق بعلو شأنه.

قيل للاوزاعي وهو أحد رواه الحديث: كيف الاستغفار؟

قال: تقول (استغفر الله، استغفر الله).

والحكمة من الإتيان بالاستغفار بعد الصلاة هي إظهار هضم النفس، وأن العبد لم يقم بحق الصلاة، ولم يأت بما ينبغي لها على التمام والكمال، بل لا بد أن يكون قد وقع في شيء من النقص والتقصير، والمقصر يستغفر ويثني على الله ـ عز وجل ـ بما هو أهله، ويكون ذلك جبراً لما فيه من نقص أو تقصير.

ومن فوائد الذكر: أنه ينجي من عذاب الله ـ عز وجل ـ، وأنه يحط الخطايا ويذهبها، فالذكر من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات. وأنه يؤمِّن العبد من الحسرة يوم القيامة، وأنه أيسر العبادات ومن أجلِّها وأفضلها، ومن فوائد الذكر أن دور الجنة تُبنى بالذكر، إلى غير ذلك من فوائد الذكر العظيمة.

وفي الحديث: فضل الاستغفار ثلاثاً بعد الصلاة.

١٤١٦ ـ وعَن المُغيرة بن شُعْبَةَ ـ رضي الله عَنْهُ ـ أنَّ رَسُول الله ﷺ كَان إذا فَرغَ منَ الصَّلاة وسلَّم قالَ: «لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ. اللهمَّ لا مانعَ لما أعْطَيْتَ، ولا مُعْطيَ لما مَنَعْتَ، ولا ينْفَعُ ذا الجَدِّ منْكَ الجدُّ» [متفقٌ عليه].

❋ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وقد روى المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله كان إذا فرغ من الصلاة وسلم؛ قال:

«لا إله إلا الله» أي؛ لا معبود حق إلا الله، فلا معبود في الكائنات يستحق أن يعبد إلا الله ـ عز وجل ـ.

«وحده لا شريك له» هذا من باب التأكيد؛ تأكيد وحدانية الله ـ عز وجل ـ، وأنه لا مشارك له في ألوهيته.

«له الملك» المطلق العام الشامل الواسع.

«وله الحمد» أي؛ الكمال المطلق على كل حال، فهو ـ جل وعلا ـ، محمود على كل حال في السراء وفي الضراء.

أما في السراء؛ فيحمد الإنسان ربه حمد شكر. وأما في الضراء؛ فيحمد الإنسان ربه حمد تفويض، لأن الشيء الذي يضر الإنسان قد لا يتبين له وجه مصلحته فيه، ولكن الله ـ تعالى ـ أعلم. فيحمد الله ـ تعالى ـ على كل حال.

«وهو على كل شيء قدير» بيده مقاليد الأمور، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

«اللهم لا مانع لما أعطيت» أي؛ لا أحد يقدر على منع ما أعطيت أحداً من عبادك، فإذا أراد الله ـ تعالى ـ أن يعطي أحداً شيئاً واجتمع الإنس والجن

على منعه لعجزوا عن ذلك. وهذا أيضاً تفويض إلى الله ـ عز وجل ـ بأنه لا مانع لما أعطى.

«ولا معطي لما منعت» أي؛ ولا أحد يقدر على إعطاء ما منعت.

«ولا ينفع ذا الجد منك الجد» أي؛ لا يمنع صاحب الغنى غناه من عذابك، وإنما ينفعه عنايتك، وما قدمه من صالح العمل.

قال البخاري: «معناه الغنى، والمراد: لا ينفعه ولا ينجيه حظه في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان وإنما ينجيه فضلك ورحمتك».

قال الراغب: «المعنى لا يتوصل إلى ثواب الله ـ تعالى ـ في الآخرة بالجد، وإنما ذلك بالجد في الطاعة، وقيل أراد بالجد أبا الأب، أي؛ لا ينفع أحداً نسبه لقوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١]».

قال النووي: «هذا الدعاء له فضيلة ظاهرة، فينبغي للعبد أن يحافظ عليه، لأنه قد أخبر الذي لا ينطق عن الهوى أن هذا أحق ما قاله العبد؛ لما فيه من التفويض إلى الله والإذعان له، والاعتراف بوحدانيته، والتصريح بأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأن الخير والشر منه، والحث على الزهادة في الدنيا، والإقبال على الأعمال الصالحة».

قال ابن عثيمين: «والترتيب بين الأذكار ليس بواجب، يعنى: لو قدمت بعضها على بعض فلا بأس، لكن الأفضل أن تبدأ بالاستغفار ثلاثاً، واللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم تذكر الله ـ تعالى ـ بالأذكار الواردة».

وفي الحديث: استحباب هذا الذكر في دبر كل صلاة مفروضة لاشتماله على ألفاظ التوحيد، ونسبة الأفعال إلى الله ـ عز وجل ـ في المنع والإعطاء وتمام القدرة.

١٤١٧ ـ وعَـنْ عبد الله بن الزُّبَيْر ـ رضـي الله تعالى عنهُما ـ أَنَّهُ كان يقُول دُبُرَ كَلِّ صلاة، حينَ يُسَلِّمُ: «لاَ إِلَه إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ. لا حوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بالله، لا إله إلاَّ الله، وَلا نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لهُ النعمةُ، ولهُ الفضْلُ ولَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لا إله إلاَّ الله مُخْلصينَ لَهُ الدِّينَ ولوْ كَره الكَافرُون». قالَ ابْنُ الزُّبَيْر: وكَان رسـولُ الله ﷺ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مكتوبة، [رواه مسلم].

❊ لا يزال المؤلف يورد الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله تعالى عنهما ـ:

(أنه كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم) أي؛ عقب السلام وبعد الفراغ من الصلاة.

«لا إله إلا الله» «لا إله» نفي للألوهية عن غير الله، و«إلا الله» إثبات للألوهية لله ـ تعالى ـ.

«وحده لا شريك» قوله «لا شريك له» تأكيد لقوله «وحده» لأن الواحد لا يكون له شريك.

«له الملك» الملك بضم الميم، يعم. والملك بكسر الميم يخص.

«وله الحمد» أي؛ جمع حمد وثناء أهل السماوات والأرض وجميع المحامد.

«وهو على كل شيء قدير» بيده مقادير كل شيء.

«لا حول ولا قوة إلا بالله» هي كلمة استعانة وتوكل، أي؛ لا تحول من حال إلى حال، ولا حصول له قوة عند الصبر إلا بالله، يعني بإذنه ـ سبحانه وتعالى ـ فأمور الإنسان كلها وأحواله جميعها بيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

«لا إله إلا الله» وهي كنز من كنوز الجنة.

قال ابن القيم: «لما كان الكنز هو المال النفيس المجتمع الذي يخفى على أكثر الناس، وكان هذا شأن هذه الكلمة، كانت كنزاً من كنوز الجنة،

فأوتيها النبي ﷺ من كنز تحت العرش، وكان قائلها أسلم واستسلم لمن أزمة الأمور بيده، وفوض أمره إليه».

«ولا نعبد إلا إياه» لأنه المستحق للعبادة وحده.

«له النعمة» اسم جمع، نعم وأنعم، وهو الأمر المستلذ المحمود العافية، ضد النقص.

«ولـه الفضل» ضد النقص؛ أي؛ له دون غيره الكمال المطلق فلا يعتريه النقص بوجه.

«وله الثناء الحسن» أي؛ المدح والذكر الحسن الجميل. ويشمل أنواع الحمد والمدح والشكر.

«لا إله إلا الله» فلا نعبد معه غيره.

«مخلصين له الدين» أي؛ التوحيد.

«ولـو كره الكافرون» أي؛ وإن كره الكافرون كوننا مخلصين الدين لله، وكوننا عابدين.

قال ابن تيمية: «ويستحب الجهر بالتسبيح والتحميد والتكبير عقب كل صلاة».

وقال ابن عثيمين: «الجهر بالذكر بعد الصلوات سنة، دل عليها ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ قال: «وكنت أعلم إذا أنصرفوا بذلك إذا سمعته»».

قال ابن الزبير: «وكان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة مكتوبة».

وفي الحديث: مشروعية التهليل خلف الصلاة المكتوبة؛ لاشتماله على تنزيه الله وتمجيده، والثناء عليه بصفات الكمال ونعوت الجلال، والتبرؤ من كل حول وقوة إلا به ـ سبحانه وتعالى ـ.

وفيه: التوجيه إلى الاعتماد على الله ـ تعالى ـ والتسليم لحكمه.

١٤١٨ ـ وعــنْ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عَنْهُ ـ أنَّ فُقَــراءَ المُهاجِرينَ أتَوْا رَسُولَ الله ﷺ فقالوا: ذَهب أهْلُ الدُّثور بالدَّرجَات العُلى، وَالنَّعيم المُقيم: يُصَلُّونَ كما نُصلِّي، وَيصُومُونَ كما نَصُومُ، ولهمُ فَضْلٌ منْ أموال: يَحجُّونَ، ويَعْتَمرُونَ، وَيُجاهدُونَ، ويتَصدَّقُون. فقالَ: «ألا أُعلِمُكُمْ شَيْئاً تُدْركُونَ به مَنْ سبَقَكُمْ، وتَسبِقُونَ بِهِ منْ بَعْدكُمْ. ولا يَكُونُ أحَدٌ أفْضل منْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَع مثلَ ما صَنَعْتُم؟» قالُوا: بَلَى يا رسول الله، قال: «تُسبِّحُونَ، وتَحْمدُونَ وتُكَبِّرُون، خلْفَ كُلِّ صلاة ثلاثاً وثَلاثينَ» قال أبُو صالح الرَّاوي عنْ أبي هُرَيْرةَ، لمَّا سئل عنْ كيْفية ذكْرهنَّ، قال: يقول: سُبْحان الله، والحمْدُ لله، والله أكْبرُ، حتَّى يكُونَ منْهُنَّ كُلِّهنَّ ثلاثاً وثلاثين. [متفقٌ عليه] وزاد مُسْلمٌ في روايته: فَرجع فُقَراءُ المُهَاجرينَ إلى رسُول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخْوانُنا أهلُ الأَمْوال بما فعلْنَا، ففعَلُوا مثْلهُ؟ فقال رَسُولُ الله ﷺ: «ذلكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيه منْ يشاءُ».

الدُّثُورُ: جمع دَثْرٍ بفتح الدَّالِ وإسكانِ الثاء المثلَّثَة وهو المالُ الكثيرُ.

❊ في هذا الحديث؛ بيان حرص الصحابة على الخير والتزود من الطاعات، فقد جاء فقراء المهاجرين، وقالوا على وجه الغبطة والتأسف على عدم تمكنهم من ذلك: ذهب وحاز أهل الدثور؛ أي؛ الأموال الكثيرة بالدرجات العلا.

قيل: الدرجات العلا هي القرب من الله ـ تعالى ـ، والنعيم المقيم، والمقصود نعيم الجنة الذي لا ينقضي أبداً.

قال ابن رجب: «فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالأموال التي يقدر عليها الأغنياء، يحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد! لعدم القدرة على آلته».

فقال ﷺ مستفهماً منهم:

«وما ذاك؟» أي؛ أي شيء ذلك الذي تقولون؟

فقالوا مبينين للنبي ﷺ: أن التجار يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، أي؛ أنهم في العبادات البدنية مماثلون لنا فيها، وزادوا علينا بالعبادات المالية التي لا نملكها، فهم يتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون العبيد ونحن لا نقدر؛ إذ لا مال لنا نصل به إلى مثل ذلك.

فقال ﷺ:

«أفلا أعلمكم شيئاً» أي؛ عظيماً بقرينه وصفه بقوله.

«تدركون به من سبقكم» أي؛ إلى المنازل العلى، أو من سبقكم من مؤمني الأمم.

«وتسبقون به من بعدكم» أي؛ في المرتبة. أي؛ دونكم، أو في الزمن.

«ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثلماً صنتعم» أي؛ ولكن من صنع مثل ما صنعتم فلا تسبقونه ولا يفضل عليه أحد كما لا يفضل عليكم.

قال ابن دقيق العيد: «وقوله «لا يكون أحد أفضل منكم» يدل على ترجيح هذه الأذكار على فضيلة المال، وعلى أن تلك الفضيلة للأغنياء مشروطة بأن لا يفعلوا هذا الفعل الذي أمر به الفقراء».

ففرح فقراء المهاجرين بهذا، وقالوا: بلى يا رسول الله. أي؛ أن تعليمنا ذلك هو مرادنا لنلحق به من سبق ونحوز به من بعد فضل السبق.

«قال: تسبحون وتحمدون وتكبرون» أي؛ سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.

«دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة» أي؛ خلف، كل صلاة من المكتوبات دون السنن. أي؛ بعد التسليم.

قال ابن عثيمين: «أن ما قيد بدبر الصلاة إن كان ذكراً فهو بعدها، وإن كان دعاء فهو في آخرها».

فذهب فقراء المهاجرين بما علمهم رسول الله ﷺ، فعلمه الأغنياء فعملوا به وشاركوهم فيه كغيره من العبادات البدنية، وهذا يدل على حرص

الصحابة على أعمال الخير والقيام بها إذا علموها. فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ إذ فاتهم ما استأثروا به عن الأغنياء ليلحقوهم في فضل عملهم المالي بمشاركتهم فيه. وقالوا للنبي ﷺ سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، أي مما ذكرت لنا وما فيه من عظيم الفضل ففعلوا مثله، فساوونا فيه وازدادوا بالعمل المالي فرجع الأمر إلى ما اشتكو منه أولاً.

فقال ﷺ:

«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» أي ثوابه. يعطيه من يشاء؛ من فقير وغني.

وفي هذا الحديث: فضل الغني على الفقير إذا استوت أعماله وأعمال الفقير البدنية.

وفيه: أن العمل السهل قد يدرك به صاحبه فضل العمل الشاق، وإن العمل القاصر قد يساوي المتعدي.

١٤١٩ـ وعنْهُ عنْ رَسُول الله ﷺ قالَ: «مَنْ سَبَّحَ الله في دُبُر كُلِّ صلاة ثَلاثاً وثَلاثينَ، وَحمدَ الله ثَلاثاً وثَلاثين، وكَبَّرَ الله ثَلاثاً وَثَلاثينَ وقال تَمامَ المائَة: لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَه لا شَـريك لهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحمْد، وهُو على كُلِّ شَـيءٍ قَدِيرٌ، غُفِرتْ خطَاياهُ وإن كَانَتْ مِثْلَ زَبدِ الْبَحْرَ» [رواهُ مسلم].

❋ لا زال المؤلـف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد جملة من الأحاديث في باب فضل الذكر، وأورد أحاديث في الذكر بعد الصلاة.

وفي الحديث؛ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

«من سبح الله» أي؛ قال: سبحان الله. والتسبيح؛ التنزيه والتقديس عن كل النقائص.

«في دبر كل صلاة» أي؛ عقب وخلف كل صلاة مفروضة. أي؛ بعد السلام.

«ثلاثاً وثلاثين» أي؛ يقولها ثلاثاً وثلاثين.

«وحمد الله» أي؛ قول: والحمد لله.

«ثلاثاً وثلاثين» أي؛ يقولها ثلاثا وثلاثين.

«وكبر الله ثلاثاً وثلاثين» أي؛ قال: الله أكبر، ثلاثاً وثلاثين.

«وقال تمام المائة» أي؛ لإتمامها.

«لا إله إلاالله وحد لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»

«غفرت خطاياه» جمع خطيئة.

«وإن كانت» أي؛ الخطايا في الكثرة.

«مثل زبد البحر» أي؛ كرغوة البحر، وهذا خارج مخرج المبالغة؛ أي لو فرض أن لذنوبه أجساماً، وكانت مثل زبد البحر يغفرها الله بهذا القول. وهو كناية عن الكثرة؛ والمكفر بالطاعات صغائر الذنوب المتعلقة بحق الله ـ تعالى ـ.

قال النووي: «وظاهرها أنه يسبح ثلاثاً وثلاثين مستقلة، ويكبر ثلاثاً وثلاثين مستقلة، ويحمد كذلك وهذا ظاهر الأحاديث».

ولا يشرع رفع اليدين في الدعاء بعد الصلاة؛ لعدم وروده عن النبي ﷺ.

والسنة: العد بالأصابع، بخمسة أصابع، يعقدها ثم يفتحها حتى يكمل ثلاثة وثلاثين، والأفضل أن يكون باليمين، وإن سبح بالثنتين فلا حرج.

في الحديث عن ابن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه».

وفي الحديث: استحباب هذا الذكر عقب الصلوات المفروضة.

وفيه: سعة رحمة الله وتمام فضله على عباده بأن شرع لهم ما يتطهرون به من ذنوبهم.

وفيه: أن هذا الذكر يكون على عقد أصابع اليد اليمنى لثبوت ذلك عن رسول الله ﷺ.

١٤٢٠ ـ وعنْ كعْب بن عُرْوةَ ـ رضي الله عَنْهُ ـ عَنْ رسول الله ﷺ قال: «مُعقِّبَاتٌ لا يَخيبُ قَائلُهُنَّ ـ أَو فَاعلُهُنَّ ـ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ مكتُوبةٍ: ثَلاثاً وثَلاثينَ تَسْبيحَةً، وَثَلاثاً وَثَلاثِينَ تَحْميدَةً، وَأَرْبَعاً وثَلاثِينَ تَكبيرةً» [رواه مسلم].

❀ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن كعب بن عروة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال:

«معقبات» أي؛ كلمات بعضها يعقب بعضاً. وقيل: لأنها عادت مرة بعد مرة، وقيل: ناسخات للذنوب، أو لأنها عقب الصلاة.

قال الهروي: «قال شمر: معناه تسبيحات تفعل أعقاب الصلاة».

«لا يخيب» من الخيبة؛ وهي الحرمان والخسران.

«قائلهن أو فاعلهن» القول فعل اللسان، فيجوز إطلاق الفعل عليه، ولا يطلق عليه غالباً إلا إذا صار القول مستمراً ثابتاً راسخاً رسوخ الفعل.

«دبر كل صلاة مكتوبة» أي؛ عقب كل صلاة مفروضة.

«ثلاثاً وثلاثين تسبيحة» أي؛ قول: سبحان الله.

«ثلاثاً وثلاثين تحميده» أي؛ الحمد لله.

«وأربعاً وثلاثين تكبيرة» أي؛ الله أكبر.

وقد ورد في التسبيح والتحميد، والتكبير أدبار الصلوات أنواع ستة:

الأول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثاً وثلاثين) ويختم بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير [رواه مسلم].

الثاني: سبحان الله (ثلاثاً وثلاثين) الحمد لله (ثلاثاً وثلاثين) الله أكبر (أربعاً وثلاثين) [رواه مسلم].

الثالث: سبحان، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثاً وثلاثين) [رواه البخاري].

الرابع: سبحان الله (عشراً) والحمد لله (عشراً) والله أكبر (عشراً)

الخامس: سبحان الله (إحدى عشرة) والحمد لله (إحدى عشرة) والله أكبر (إحدى عشرة).

السادس: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (خمساً وعشرين).

والأفضل أن يقول هذا تارة، وهذا تارة، فينوع بين هذه التسبيحات.

جاء عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيمينه ـ وفي رواية: يعقد التسبيح بيمينه ـ.

قال جماعة من العلماء: «شرط حصول ما رتبه الشرع على هذه الأذكار، عدم الزيادة عليها والنقص منها، فلو زاد أو نقص لم يحصل له ثواب هذا الذكر».

وفي الحديث: أن التسبيح والتحميد والتكبير هن الباقيات الصالحات.

وفيه: أن الذكر بعد الصلوات المفروضة فيه صيغ كثيرة، فهو من باب اختلاف التنوع، وهذا يدل على سعة رحمة الله بعباده إذ شرع لهم وجوه كثيرة من الخير.

وفيه: صفة التسبيح؛ وهو أن يكون باليد اليمنى فقط، وبطريقة العقد. أي؛ شد الإصبع إلى باطن الكف.

١٤٢١ ـ وعنْ سعدِ بن أبي وقاص ـ رضي عنْهُ ـ أنَّ رَسُول الله ﷺ كانَ يَتعوَّذُ دُبُــر الصَّلَوات بِهؤلاء الكلمات: «اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ منَ الجُبْن والْبُخل وَأَعــوذُ بكَ منْ أنْ أُرَدَّ إلى أرْذَل العُمُرِ وَأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيا، وأَعوذُ بكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبر» [رواه البخاري].

❋ هذا الحديث؛ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ في فضل الذكر، أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر الصلوات بهؤلاء الكلمات.

قال ابن عثيمين: «فكلمة **(دبــر)** القاعدة فيها أنه إذا كان المذكور أذكاراً فإنه يكون بعد السلام، وإذا كان المذكور دعاء فإنه يكون قبل السلام».

«**اللهم إني أعوذ بك**» أي؛ التجئ، واعتصم بك.

«**من الجبن**» وهو الشح بالنفس.

والجبن: الخوف ضد الشجاعة وهوضعف القلب وتهيب الإقدام على ما لا ينبغي أن يخاف.

«**والبخل**» أي؛ الشــح بالمال ضد الســخاوة، وهو منــع إنفاق المال بعد الحصول عليه، وحبه وإمساكه.

وهو شرعاً: منع الواجب ومنع السائل مما يفضل عنه.

وقد قرن النبي ﷺ بين الجبن والبخل؛ لأن الإحســان من العبد إما بماله أو بدنه، فالبخيل مانع لنفع ماله، والجبان مانع لنفع بدنه.

قال الطيبي: «والجود إما بالنفس وإما بالمال؛ ويســمى الأول شــجاعة، ويقابلهــا الجبن، والثاني: ســخاوة ويقابلها البخل، ولا تجتمع الشــجاعة والسخاوة إلا في نفس كاملة، ولا تنعدمان إلا في متناه في النقص».

«**وأعوذ بك**» أعاذة؛ لأن هذا نوع غير ما قبله.

«**مــن أن أرد إلــى أرذل العمــر**» وهو بلوغ إلى حد فــي الهرم، يعود معه كالطفل، في سخف العقل، وقلة الفهم، وضعف القوة.

قال الصنعاني: «والمراد من الرد إلى أرذل العمر: هو بلوغ الهرم والخوف؛ حتى يعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية ضعيف البنية، سخيف العقل، قليل الفهم».

والأرذل: هو الرديء من كل شيء.

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ «أنه خمس وسبعون سنة ففيه ضعف القوى، وسوء الحفظ وقلة العلم».

والممدوح من طول العمر ما لم ينكس لحديث «**خيرالناس من طال عمره وحسن عمله**» [رواه الترمذي].

«**وأعوذ بك من فتنة الدنيا**» الفتنة: الاختبار.

وفتنة الدنيا: الانشغال بها عن الآخرة. إما بالغنى المطغي، أو الفقر المنسي الذي يشغل عن طاعة الله.

قال شعبة: «يعنى فتنة الدجال».

«**وأعوذ بك من فتنة القبر**» سؤال الملكين؛ فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ والمؤمن يثبته الله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] والمنافق بضده.

وفي الحديث: استحباب المواظبة على هذا الذكر في دبر الصلوات، والجمع بينه وبين الأذكار السابقة أفضل.

وفيه: أن الجبن والبخل خلقان سيئان؛ ينبغي على المسلم أن يستعيذ بالله منهما.

١٤٢٢ ـ وعنْ معاذ ـ رضي الله عَنْهُ ـ أَنَّ رسُول الله ﷺ أَخَذَ بيَده وقال: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ» فقال: «أُوصِيكَ يَا معاذُ لا تَدعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تقُولُ: اللهمَّ أعِنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وَحُسنِ عِبادتِكَ» [رواهُ أبو داود بإسناد صحيح].

❁ جبل الإنسان على أمور نفسية كثيرة، منها الحب والكره، والبغض والرضا، والفرح، والحزن، وغيرها.

والإسلام دين المحبة والتواد والتراحم، ولهذا حث النبي ﷺ على الإخبار بمشاعر الحب، لأن هذا يقويه ويفضى إلى شيوع الألفة بين المسلمين.

وفي هذا الحديث؛ أخذ النبي ﷺ بيد معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ تأنيساً وتلطفاً معه، وهذا دأب النبي ﷺ مع أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ.

ثم أخبره ﷺ أنه يحبه، وفيه شاهد على فضل معاذ، وكمال استقامته، حيث حصلت له هذه المنزلة من النبي ﷺ.

وهو ـ رضي الله عنه ـ أحد السبعين الذي شهدوا العقبة من الأنصار وكان عمره ثمانية عشر عاماً. فهو من المقربين إلى النبي ﷺ ومن الذين شهد لهم بالعلم والعفة والدين، وبعثه إلى اليمن معلماً وداعياً وأميراً.

وقد أحبه النبي ﷺ حباً عظيماً، وصرح له بذلك، بل وأكده بيمين حلفها بالله ـ عز وجل ـ؛ ثم أوصاه بقوله:

«لا تدعن» أي؛ لا تتركن.

«في دبر كل صلاة» عقب كل صلاة مفروضة.

وقال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «يقوله قبل أن يسلِّم».

«أن تقول: اللهم أعني على ذكرك» الشامل للقرآن وسائر الأذكار وطلب العون من الله عباده.

«وشكرك» الشكر على المحسن بما أولاه من المعروف، وفي الشرع استعمال نعم الله فيما خلقت من أجله. والمعنى؛ أعني على شكر نعمتك الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية التي لا تحصى.

«وحسن عبادتك» حسن العبادة؛ أن تشمل على الشروط، والأركان، والآداب، مع الخشوع والإخلاص.

والعبادة لا تكون حسنة إلا إذا توفر فيها شرطان: الإخلاص لله ـ عز وجل ـ، ومتابعة النبي ﷺ.

في الحديث «من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله» [صحيح الجامع].

قال في الكشاف: «الحب في الله والبغض في الله باب عظيم، وأصل من أصول الإيمان، ومن لازم الحب في الله أحب أنبيائه وأصفيائه، ومن شرط محبتهم اقتفاء آثارهم وطاعة أمرهم».

والمحبة في الله سبب لنيل محبة الله، وهو من علامات صدق الإيمان وممن يظلهم الله في ظله يوم القيامة، والحب في الله سبيل الجنة.

في الحديث: فضل معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال بعضهم: لما صحت محبة معاذ للنبي ﷺ؛ جازاه بأعلى منها كما هو عادة الكرام.

وفيه: استحباب التزام هذه الدعاء في دبر كل صلاة مفروضة.

وفيه: طلب العون والتوفيق من الله ـ عز وجل ـ.

وفيه: فضل الذكر والحث عليه.

١٤٢٣ ـ عَنْ أبي هُرَيْرة ـ رضي الله عَنْهُ ـ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إذا تَشَهَّد أَحدُكُمْ فَليَسْتَعذ بالله مِنْ أرْبَع، يقولُ: اللهمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنْ عذَابِ جهَنَّم، وَمِنْ عَذَابِ القَبرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المحْيَا والمَماتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ» [رواه مسلم].

❋ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا تشهد أحدكم» أي؛ أتم التشهد. أي؛ التحيات، سمي تشهداً لاشتماله عليه. وفي لفظ: التشهد الأخير.

«فليستعذ بالله» الأمر للندب عند الجمهور.

«من أربع» أي؛ من أربعة أشياء، وهي في الحقيقة خمسة، لكن عد فتنة الحياة والموت واحد، لتقابلها ولذا لم يعد لفظ فتنة الممات.

«يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم» وهي النار والعياذ بالله، فيتعوذ العبد بالله من عذابها.

قال ابن عثيمين: «وهذا يشمل ما علمت من سوء تسأل الله أن يعفو عنك منه، وما لم تعمل من السوء تسأل أن يجنبك إياه».

«ومن عذاب القبر» أي؛ الكائن فيه لمن لم يثبت عن السؤال من الملكين له. وهو عذاب دائم للكافرين، وعذاب قد ينقطع للعاصين.

«ومن فتنة المحيا» أي؛ من جميع البلايا والمحن الواقعة في الحياة مما يضر ببدن أو دين أو دنيا للداعي، ولمن له به تعلق لا سيما مع عدم الصبر، وفي الموت قبله عند الاحتضار، ومن تسويل الشيطان الكفر حينئذ.

وقد ثبت عذاب النار عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**» [رواه البخاري].

«**ومن شر فتنة المسيح الدجال**» «**الدجال**» أي؛ البالغ في الكذب بادعائه الإحياء والإماتة وغيرهما؛ مما يقطع كل عاقل فضلاً عن المؤمن بكذبه فيه.

والدجال: رجل كذاب يظهر قرب يوم القيامة يدعي الألوهية، ويُفتن به كثير من الناس.

وسمي الدجال مسيحاً: لأن عينه الواحدة ممسوحة، وقيل أنه يمسح الأرض؛ أي يقطعها كلا إلا الحرمين في أقصر مدة، وحمى الله منه الحرمين لفضلهما.

وأما المسيح بن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فسمي به لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ. وقيل غير ذلك.

قال الشوكاني: «والمراد بفتنه المسيح الدجال: هي ما يظهر على يديه من الأمور التي يضل بها من ضعف إيمانه، كما اشتملت على ذلك الأحاديث المشتملة على ذكره وذكر خروجه، وما يظهر للناس من تلك الأمور».

واستعاذة الرسول ﷺ من هذه الأربع للتشريع وتحريض الأمة عليها، وإلا فهو ﷺ آمن من ذلك كله.

وفي الحديث: مشروعية الاستعاذة بالله من هذه الأربع لعظيم الأمور فيها، وشدة البلاء في وقوعها.

وفيه: أن العبد عرضة للفتن في الدنيا والآخرة، فعليه الالتجاء إلى الله ـ عز وجل ـ والاعتصام به وسؤاله السلامة.

١٤٢٤ ـ وعن عَلِيٍّ ـ رضي الله عنْهُ ـ قال: كانَ رَسُولُ الله إذا قام إلى الصَّلاة يكونُ مِنْ آخر ما يقولُ بينَ التَّشَهُّد والتَّسْليم: «**اللهمَّ اغفرْ لي ما قَدَّمتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، وما أَسْرفْتُ، وما أَنتَ أَعْلمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إله إلاَّ أَنْتَ**» [رواه مسلم].

❀ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: أن النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم. أي؛ التشهد الثاني، قوله:

«**اللهم اغفر لي**» توسل إلى الله بالألوهية، وسؤاله المغفرة، وهو محو الذنوب، وسترها عن الناس.

«**ما قدمت**» أي؛ ما تقدم من ذنوبي؛ وما سلف منها في أول عمري.

«**وما أخرت**» أي؛ جميع ما فرط مني في آخر عمري.

«**وما أسررت**» أي؛ أخفيت. أي؛ ما عملته خفية.

«**وما أعلنت**» أي؛ أظهرت وعملته علناً.

«**وما أسرفت**» أي؛ أكثرت وما زدت فيه على القدر المطلوب شرعاً.

«**وما أنت أعلم به مني**» وهذا خضوع منه ﷺ لربه، فهو عالم السر وأخفى ـ جل وعلا ـ ولأن الإنسان قد يعمل السيئة والخطيئة ويعرف أنه عملها، فيستغفر منها، وقد يقع في معاصي لا يشعر بها ولا يعلمها، وقد يظنها حسنات، فهذا مما الله ـ جل وعلا ـ أعلم به من العبد.

«**أنت المقدم وأنت المؤخر**» معناه تقدم من شئت بطاعتك وغيرها، وتؤخر من شئت عن ذلك كما تقتضيه حكمتك.

وقيل: أنت توفق بعض العبـاد للطاعات، وتخذل بعضهم عن النصرة والتوفيق، وتعز من تشاء وتذل من تشاء.

قال البيهقي: «قدم من شـاء بالتوفيق إلى مقامات السابقين، وأخر من شـاء عن مراتبهم وثبطهم بمحنها. وأخر الشـيء عن حين توقفه للعلم بما فـي عواقبه من الحكمة، وقيل قدم مـن أحب من أوليائه وأخر من أبغض مـن أعدائه، فلا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قـدم؛ ويكون المؤخر والمقدم يعنى المضل والهادي، قدم من شاء لطاعته بفضله لسعادته، وأخر من شاء بقضائه لشقاوته».

«لا إلـه إلا أنـت» كلمـة التوحيـد، ختم بها هذا الدعـاء العظيـم، فهو ـ سبحانه ـ المسؤول ومجيب الدعوات لا إله غيره.

قال العلمـاء: وهذا خضوع منه ﷺ لربـه، وأداء لحق مقام العبودية، وحـث للأمة على الاسـتغفار، لأنه ﷺ إذا أتى بهـذا الكلام وما فيه من الإطناب مع اسـتحاله صدور ذنب منـه فمن هو محل صدور الآثام أجدر بالدوام عليه والدأب فيه والملازمة عليه».

قال ابن الجوزي: «اعلم أن دعاء المؤمن لا يُرد؛ غير أنه قد يكون الأولى لـه تأخيـر الإجابة، أو يعوض بمـا هو أولى له عاجـلاً أو آجلاً، فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض».

وفـي الحديث: كمال خضوع النبي ﷺ لربه، وأداؤه لحق مقام العبودية له، وفيه الحث على الاستغفار والتوبة.

وفيه: اسـتحباب التقرب إلى الله ـ عز وجل ـ بهذا الدعاء بين التشهد والتسليم، وفيه: أن الذنب والتقصير أمر لازم للبشر؛ فينبغي على العبد أن يتوب من ذلك كله، ويستغفر مما لا يعلمه.

١٤٢٥ ـ وعنْ عائشـــةَ ـ رضي الله عنْهَا ـ قَالَتْ: كانَ النبي ﷺ يُكْثِرُ أنْ يقولَ في رُكُوعِهِ وَسُـــجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللهمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهمَّ اغْفِرْ لي» [متفقٌ عليهِ].

❀ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

(كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده) أي؛ في الصلاة.

«سبحانك» أي؛ أسبحك وأنزهك عن كل عيب ونقص.

وكلمة «سـبحان الله» تتضمن أصلا عظيمـاً من أصول التوحيد، وركناً أساسـياً مـن أركان الإيمان بـالله ـ عز وجل ـ، وهو تنزيهه ـ سـبحانه وتعالى ـ عن العيب والنقص، والأوهام الفاسدة والظنون الكاذبة.

«اللهم» يا الله، ولا تستعمل هذه الكلمة إلا في الطلب، فلا يقال: اللهم غفور رحيم، وإنما يقال: اللهم اغفر لي، وارحمني.. ونحو ذلك.

«ربنـا» معنى الرب: هو المالك، والسـيد، والمدبـر، والمربي، والمنعم، والمتصرف للإصلاح، ولا يسـتعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة نحو: رب الدار، ورب البيت.

«وبحمـدك» أي؛ وبحمـدك سـبحتك، لا بحولي وقـوتي، ففيه شكر الله ـ تعالـى ـ علـى هـذه النعمـة، والاعتـراف بهـا، والتفـويض إلى الله ـ تعالى ـ وأن كل الأفضال له.

قال الخطابي: «أي بقوتك التي هي نعمة توجب علي حمدك، سبحتك لا بحولي وبقوتي، كأنه يريد أن ذلك مما أقيم فيه السبب مقام المسبب».

ويأتي الدعاء بعد الحمد والثناء بقوله:

«اللهم اغفرلي» سؤال الله المغفرة، وهو محو الذنوب وسترها.

وقوله ﷺ هـذا من باب العبودية، والإذعان، والافتقار إلى الله ـ عز وجل ـ.

وقد جاء الدعاء في هذا الحديث مرتين:

مرة بوصف الألوهية «اللهم» الجامعة لجميع الكمالات من الأسماء والصفات.

ومرة: بوصف الربوبية «ربنا» المنبئة عن التربية والإنعام، إظهاراً لغاية التضرع، ومبالغة في الدعاء استعطافاً لله ـ تعالى ـ ليجيب الدعاء.

وفي الحديث: استحباب هذا الذكر في حال الركوع والسجود، ويستحب المواظبة عليه لأنه من هدي النبي ﷺ الذي التزمه وأكثر منه.

وفيه: أنه يشرع قبل الدعاء الثناء على الله وحمده وتسبيحه وتمجيده، فإنه أدعى للقبول.

١٤٢٦ ـ وَعَنْهَا أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يَقُولُ في رُكوعِهِ وسجودِهِ: «سُبُّوحٌ قدُّوسٌ ربُّ الملائكةِ وَالرُّوحِ» [رواه مسلم].

❋ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه، وأورد جملة من الأحاديث في دعاء النبي ﷺ في ركوعه وسجوده.

وقد جاء في الحديث؛ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «..فأما الركوع فعظموا فيه الرب ـ عز وجل ـ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم».

وفي هذا الحديث؛ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ (كان يقول في ركوعه وسجوده) أي؛ أنه من أذكار الركوع والسجود:

«سبوح» أسبح الله؛ المسبح بكل شيء والمنزه على كل لسان.

والسبوح: هو المنزه عن النقائص والعيوب، والزوجة والولد والشريك، الذي يسبحه من في السماوات ومن في الأرض. قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ﴾ [الإسراء: ٤٤].

«قدوس» اسم لله، معناه؛ المنزه والمفرد بالتقديس، والمنزه عن كل عيب.

من سبحت الله ـ عز وجل ـ؛ أي نزهته فلا يكون التقديس إلا لله.

قيل عن «سبوح قدوس» هما اسمان من أسماء الله ـ عز وجل ـ وضعا للمبالغة في النزاهة والطهارة عن كل ما لا يليق بجلاله ـ تعالى ـ، وكبريائه وعظمته، وأفضاله. أي؛ ركوعي وسجودي لمن هو البالغ في النزاهة والطهارة المبلغ الأعلى.

قال النووي: «وقيل «القدوس» المبارك».

«رب الملائكة» أي؛ خالقهم ومدبرهم ـ سبحانه ـ الذين هم أعظم العوالم وأطوعهم لله ـ تعالى ـ وأدومهم على عبادته.

«والروح» هو جبريل ـ عليه السلام ـ، ذكره من باب ذكر الخاص بعد العام، تكريماً لجبريل، ورفعاً لدرجته فهو أفضل الأنبياء، وأعظم الملائكة خلقاً، له عشرة الآف جناح، جناحان منهما بين المشرق والمغرب.

وخصه بالذكر تفضيلاً على سائر الملائكة كما في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤].

أو«الروح» حاجب لله ـ تعالى ـ يقدم بين يديه يوم القيامة.

ويحتمل أن الروح صنف من الملائكة، كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

وفي الحديث: استحباب دعاء الله ـ عز وجل ـ بصفاته العليا الدالة على كماله وجلاله.

١٤٢٧ ـ وعَــن ابن عَبَّــاس ـ رضي الله عنْهُما ـ أنَّ رسُــول الله ﷺ قال: «فَأَمَّا الرُّكوعُ فَعَظِّموا فيهِ الرَّبَّ، وأمَّا السُّــجودُ فَاجْتَهِدُوا في الدُّعاء فَقَمِنٌ أنْ يُسْتَجَاب لَكُمْ» [رواه مسلم].

❊ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وهذا الحديث؛ رواه عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رســول الله ﷺ قال:

«أما الركوع» أي؛ في الركوع.

«فعظمــوا فيــه الرب» أي؛ بذكر الثناء عليه والمبالغة في التنزيه والتقديس، وأفضله؛ ســبحان ربي العظيم وبحمده. وأقل السُــنَّة مرة، وأقل الكمال ثلاث.

وجاء عن الحسن البصري: «التسبيح التام سبع، والوسط خمس، وأدناه ثلاث».

قال النووي: «أي؛ سبحوه ونزهوه ومجدوه، واستحب الشافعي وغيره في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: ربي الأعلى، ويكرر كل واحد منهما ثلاث مرات، ولو اقتصر على تســبيحة واحدة فقال: سبحان الله، حصل أصل سنة التسبيح لكن ترك كمالها وأفضلها».

«وأما السجود» أي؛ في حال السجود.

«فاجتهدوا في الدعاء» أي؛ في طلب الحاجات.

«فقمن» أي؛ حقيق وجدير.

«أن يســتجاب لكم» لما فيه من القرب المعنوي المشار إليه بحديث: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»**.

وفي السجود غاية التواضع والعبودية لله ـ تعالى ـ، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها، وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن.

ومن ثم كان ﷺ يكثر فيه الدعاء.

ومما كان يقوله في سجوده: «**اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره**» [رواه مسلم].

قال النووي: «واستغفاره ﷺ مع أنه مغفور له من باب العبودية والإذعان والافتقار إلى الله ـ تعالى ـ».

وفي الحديث: استحباب تعظيم الله في الركوع، وكثرة الدعاء في السجود.

وفيه: الحث على الدعاء في السجود؛ فيستحب أن يجمع في سجوده بين التسبيح والدعاء.

١٤٢٨ ـ وعن أبي هريرةَ ـ رضي الله عَنْهُ ـ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «أقربُ ما يَكونُ العبْدُ مِن ربِّهِ وَهَو ساجدٌ، فَأَكثِرُوا الدُّعاءَ» [رواهُ مسلم].

❁ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«أقرب ما يكون العبد» «أقرب» استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن السجود أفضل من القيام.

وقرب الله من عباده نوعان:

الأول: قرب الله ـ سبحانه وتعالى ـ من داعيه بالإجابة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والثاني: قربه من عابده بالإثابة؛ ومن ذلك ما ورد في هذا الحديث.

«أقرب ما يكون العبد من ربه» أي؛ من رحمته وفضله.

«وهو ساجد» الواو للحال. أي؛ قرب حالاته من الرحمة حال كونه ساجداً.

قال النووي: «معناه؛ أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله».

ومعنى كون العبد أقرب إلى الله ـ تعالى ـ حالة السجود من بين سائر أحواله؛ لأن حاله يدل على غاية التذلل وترك التكبر، وكسر النفس واعتراف بعبودية نفسه، وربوبية ربه، فكانت مظنة للإجابة.

قال ابن عثيمين: «وذلك لأن الإنسان إذا سجد فإنه يضع أشرف ما به من الأعضاء في أماكن وضع الأقدام التي توطأ بالأقدام، وكذلك أيضاً يضع أعلى ما في جسده، حذاء أدنى ما في جسده، يعنى أن وجهه أعلى

ما في جسده، وقدميه أدنى ما في جسده؛ فيضعهما في مستوى واحد خضوعاً وتذللاً وتواضعاً لله ـ عز وجل ـ، ولهذا كان أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، وقد أمر النبي ﷺ فيما سبق بالإكثار من الدعاء في حال السجود، فيجتمع في تلك الهيئة والمقال تواضعاً لله ـ عز وجل ـ، ولهذا يقول الإنسان في سجوده: سبحان ربي الأعلى، إشارة إلى أنه ـ جل وعلا ـ هو العلي الأعلى في ذاته وفي صفاته وأن الإنسان هو السائل النازل بالنسبة لجلال الله وعظمته».

«فأكثروا الدعاء» أي؛ في السجود لأنه حالة قرب كما تقدم، وحالة القرب مقبول دعاؤها.

وهذا التوجيه منه ﷺ يدل على حرصه على تعليم أمته الخير وأسبابه وأبوابه فصلاة ربي وسلامه عليه.

وفي الحديث: أن الطاعة تزيد العبد قرباً من الله، وكلما ازداد العبد طاعة استجاب الله دعاءه.

وفيه: أن السجود من مواطن إجابة الدعاء فعلى العبد أن يكثر من الدعاء طالباً من الله خير الدنيا والآخرة.

وفيه: الاستكثار من السجود ومن الدعاء فيه. وأن السجود من العبادات العظيمة، والطاعات الكريمة التي تقرب من الله ـ عز وجل ـ وتدني من رحمته وإحسانه.

١٤٢٩ ـ وعنهُ أنَّ رسُــول الله ﷺ كانَ يقُولُ في سُجُودِه «اللهمَّ اغفِرْ لي ذَنبي كُلَّهُ: دِقَّه وجِلَّهُ، وأَوَّله وَآخِرَهُ، وعلانيته وَسِرَّه» [رواهُ مسلم].

❋ أورد المؤلــف ـ رحمه الله تعالى ـ جملــة من الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

ولا يزال يورد الأذكار الواردة في السجود والركوع.

وفــي هذا الحديــث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رســول الله ﷺ كان يقول في ســجوده تشــريعاً للأمة. ولأن السجود من مظان إجابة لدعاء.

«اللهم اغفر لي» أي؛ ذنوبي، أو تقصيري في طاعتك.

«ذنبي كله» توكيد للإحاطة والشمول، أتى به لدفع توهم أن المراد به ذنب مخصــوص، ولبيان أن العموم المفاد من إضافته مراد، ثم فصله بقوله **«دقه وجله»** وهذا أعظم الاعتراف والاقرار بما اقترف.

«دقه» صغيره، وقيل: قليله وكثيره.

«وجله» كبيره.

قال الطيبي: «إنما قدم الدق على الجل، لأن السائل يتصاعد في مسألته، ولأن الكبائر إنما تنشــأ في الغالب من الإصرار على الصغائر وعدم المبالاة بها، فكأنها وسائل إلى الكبائر، ومن حق الوسيلة أن تقدم إثباتاً».

«وأوله وآخره» أي؛ الماضي والمستقبل من الذنوب.

«وعلانيته» المعلن عنه.

«وسره» ما خفي.

قــال ابن عثيمين عن هذا الحديث: «وهذا من باب التبســط في الدعاء والتوســع فيه لأن الدعاء عبادة فكل ما كرر الإنســان ازداد عبادة لله ـ عز وجل ـ، ثم إنه في تكراره هذا يســتحضر الذنوب كلها الســر والعلانية،

وكذلك ما أخفاه وكذلك دقه وجله، وهذه هي الحكمة في أن النبي ﷺ فصل بعد الإجمال، فينبغي للإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة من رسول الله ﷺ، لأنها أجمع الدعاء، وأنفع الدعاء..».

في الحديث: استحباب هذا الذكر حال السجود.

وفيه: أن التوبة واجبة من الصغائر والكبائر لا فرق، ولذلك قال ﷺ: «اللهم اغفر لي ذنبي كله».

وفيه: تعليم النبي ﷺ ما ينفع أمته.

وفيه: التضرع إلى الله ـ تعالى ـ، وطلبه المغفرة من جميع الذنوب، ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف.

١٤٣٠ ـ وعنْ عائشةَ ـ رضي الله عنْها ـ قالَتْ: افتَقدْتُ النبي ﷺ ذَاتَ لَيْلَة، فَتَحَسَّسْتُ، فإذَا هُو راكعٌ ـ أوْ سَاجدٌ ـ يقولُ: «سُبْحَانكَ وبحمدكَ، لا إلهَ إلاَّ أنْتَ» وفي رواية: فَوقَعَت يَدي على بَطْن قَدميه، وهُوَ في المَسْجد، وهما منْصُوبتان، وَهُوَ يَقُولُ: «اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ برضَاكَ منْ سَخطكَ، وبمُعافاتك منْ عُقوبتكَ، وَأَعُوذُ بِك منْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عليكَ أَنْتَ كما أثنيتَ على نَفْسكَ» [رواهُ مسلم].

❊ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في فضل الذكر: وفي الحديث؛ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

(افتقدتُ النبي ﷺ ذات ليلة) أي؛ فقدته ولم أعثر عليه فتحسست وتطلبه. قال ابن عثيمين: «لأنها ـ رضي الله عنها ـ هي؛ أحب نسائه إليه، وهي تحبه أيضاً فتخشى أن يكون أصابه شيء».

(فإذا هو في المسجد راكع أو ساجد) شك من الراوي؛ يقول:

«سبحانك» أي؛ تقدست وتنزهت.

«وبحمدك» أي؛ انزهك حامداً لك؛ لما اتصفت به من صفات الكمال التي لم يقدرها العبد حق قدرها.

«لا إله إلا أنت» أي؛ لا شريك لك سبحانك.

وفي رواية: فوقعت يدي على بطن قدمه، وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول:

«اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك» أي؛ اعتصم واتحفظ برضاك عني من وقوع سخطك وانتقامك.

قال ابن عثيمين: «والمعنى؛ أنه يستعيذ بالله ـ عز وجل ـ بالأعمال الصالحة عن الأعمال السيئة، لأن الأعمال السيئة توجب الغضب والسخط، والأعمال الصالحة توجب الرضا، والشرع إنما ينادي

بضده، فالسخط ضده الرضا فيستعيذ بالرضا من السخط».

«وبمعافاتك من عقوبتك» وأعوذ بعفوك من عقوبتك لي، وإنما استعاذ بصفات الرحمة لسبقها وظهورها من صفات الغضب حتى لا يناله شيء من آثارها؛ وهذا يتضمن سؤال المغفرة.

«وأعوذ بك منك» أي؛ التجيء؛ إذ لا يملك أحد معك شيئا، فلا يعيذ منك إلا أنت.

«لا أحصي ثناء عليك» أي؛ لا أطيق أن أحصره. قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

«أنت كما أثنيت على نفسك» بقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ ـ ٣٧].

قال النووي: «اعتراف العجز عن تفصيل الثناء، وأنه لا يقدر على حقيقته، ورد الثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصاء والتعيين، فوكل ذلك إلى الله ـ سبحانه ـ المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، كما لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه، لأن الثناء تابع للمثنى عليه، ولك ثناء أثنى عليه ربه إن كثر وطال وبولغ فيه، فقدر الله أعظم، وسلطانه أعز، وصفاته أكبر وأكثر، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ».

وفي الحديث: استحباب ذكر الله ـ تعالى ـ في السجود بهذه الأذكار التي جمعت بين صفات التنزيه والتقديس لله ـ تعالى ـ ما هو أهل له.

وفيه: أنه مهما بالغ الإنسان في تقديس الله ـ تعالى ـ والثناء عليه، فإنه لا يبلغ مدى عظمة الله ـ تعالى ـ، وما اثنى هو به على نفسه ـ سبحانه وتعالى ـ في كثير من آيات كتابه العزيز.

١٤٣١ ـ وعنْ سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنْهُ ـ قال: كُنَّا عِنْد رسُول الله ﷺ فقال: «أيعجزُ أحدُكم أنْ يكْسبَ في كلِّ يوْمٍ ألف حَسنَة»، فَسَألَهُ سائلٌ منْ جُلَسائه: كيفَ يكسبُ ألفَ حَسنَة؟ قالَ: «يُسَبِّحُ مِائةَ تَسْبيحة، فَيُكتَبُ لهُ ألفُ حسَنَة، أوْ يُحَطُّ عنْهُ ألفُ خَطيئَة» [رواه مسلم].

قال الحُميديُّ: كذا هو في كتاب مسلم: «أوْ يُحَطُّ» قال: البَرْقَانيُّ: ورواهُ شُعْبَةُ، وأبو عوانَةَ، ويَحيَى القَطَّانُ، عَنْ مُوسى الذي رواه مسلم مِن جِهتِهِ فقالُوا: وَيُحَطُّ بِغَيْرِ ألفٍ.

❋ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال:

«أيعجز أحدكم» الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الإنكار، وهذا في قوة النهي؛ معناه: لا يعجز أحدكم عن الكسب في كل يوم ألف حسنة.

«أن يكسب في كل يوم» أي؛ ينال ويحصل.

«ألف حسنة» وأنما يكتب به ألف حسنة لأن كل حسنة بعشر أمثالها؛ قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

ومن حرص الصحابة على الخير سأله سائل من جلسائه: كيف يكسب ألف حسنة؟ وما هي الطريقة في ذلك؟

قال ﷺ:

«يسبح مائة تسبيحة» أي؛ قول: سبحان الله، مائة مرة.

«فيكتب له ألف حسنة».

قال المباركفوري: «لأن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها وهو أقل المضاعفة الموعودة في القرآن بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وقوله:

﴿يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

«أو» ليست للشك، بل هي للتنويع، وقيل: بمعنى «الواو» أي؛ ويمحى عنه ألف معصية؛ فمن التسبيح ما يكتب له به حسنات، ومنه ما يحمى به عنه من الخطيئات.

«يحط عنه ألف خطيئة» أي؛ يوضع عنه فلا يؤاخذ به. المراد بها ألف خطيئة من الصغائر المتعلقة بحق الله ـ تعالى ـ.

قال شيخ الإسلام: «الناس في الذكر أربع طبقات.

إحداهما: الذكر بالقلب واللسان وهو المأمور به.

الثاني: الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان فحسن، وإن كان مع قدرته فترك للأفضل.

الثالث: الذكر باللسان فقط، وهو كونه لسانه رطباً بذكر الله، وفيه حكاية التي لم تجد الملائكة فيه خيراً؛ إلا حركة لسانه بذكر الله، ويقول الله تعالى: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» [رواه ابن ماجة].

الرابع: عدم الأمرين، وهو حال الخاسرين».

وفي الحديث: فضل الله الواسع وأنه يجازي على الحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء.

وفيه: مبادرة الصحابة إلى فعل الخيرات دون توان.

١٤٣٢ ـ وعنْ أبي ذَرّ ـ رضي الله عنْهُ ـ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «يُصْبحُ عَلى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحدكُمْ صَدَقةٌ: فكُلُّ تَسْبيحة صدقةٌ، وكُلُّ تَحْميدَة صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْليلَـة صَدَقَةٌ، وكُلُّ تَكْبيرة صدقةٌ، وَأَمْـرٌ بالمَعْرُوف صَدقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنكَرِ صدقة. وَيُجْزِيءُ مِنْ ذلكَ ركْعتَانِ يَرْكَعُهُما منَ الضُّحَى» [رواه مسلم].

❁ نعم الله على العبد كثيـرة، وآلائه عظيمة؛ وأقرب مثال لذلك ما منحه الله ـ تعالى ـ له من جسم متحرك المفاصل، ومتناسب في الأعضاء، قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١] والواجب الشكر لهذه النعم العظيمة.

والصدقة ليست بالمال فحسب، بل من جميع أعمال المعروف والإحسان، حتى التبسم في وجه أخيك صدقة.

وفي الحديث: فضيلة التسبيح وسائر الأذكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر العلم، وتعليم الجاهل، وأنها من الصدقات والأعمال الصالحات. قال الحسن: «أعظم النفقة نفقة العلم».

وفي الحديث قال ﷺ: «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة».

سلامى الإنسان: عظام الكف والأصابع والأرجل. وجاء في صحيح مسلم أن السلامى ثلاثمائة وستون مفصلاً. أي؛ أن على كل عظم ومفصل من الإنسان صدقة شكراً لله ـ تعالى ـ على سلامة مفاصله وعظامه وعافيته.

«فكل تسبيحة صدقة» التسبيح هو التنزيه.

«وكل تحميدة صدقة» الحمد: هو قول العبد: «الحمد لله» وهو الثناء على الله بصفات كماله.

«وكل تهليلة صدقة» وهي: قول لا إله إلا الله.

«وكل تكبيرة صدقة» وهي قول: الله أكبر.

«وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة» والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكون باليد أو باللسان، أو بالقلب حسب المقدرة.

ثم قال ﷺ «ويجزئ من ذلك» يعنى عن ذلك «ركعتان يركعهما من الضحى» أي؛ إذا صلى المسلم من الضحى ركعتين أجزأت عن كل الصدقات التي عليه وهذا بيان لفضلها وعظم منزلتها، وهذا من تيسير الله ـ عز وجل ـ على العباد.

وفي هذا الحديث: فضل صلاة الضحى التي هي صلاة الأوابين.

قال ﷺ: «لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب» [رواه الطبراني].

والأواب: هو كثير الرجوع إلى الله ـ سبحانه ـ بالإنابة والتوبة، وأنها تكفي من صدقات الأعضاء، لأن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد، وتنهى عن الفحشاء والمنكر.

ووقت صلاة الضحى من ارتفاع الشمس قدر رمح؛ حوالي ربع إلى ثلث ساعة بعد الطلوع. إلى قبيل الظهر؛ أي: إلى قبل الزوال بعشر دقائق، والأفضل أن تكون في آخر الوقت وهي صلاة الأوابين.

قال ﷺ «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال» [رواه مسلم].

قال ابن الأثير: «والمراد صلاة الضحى عند الارتفاع واشتداد الحر، واستدل به على فضل تأخير الضحى إلى شدة الحر».

وبالدقائق المعروفة حوالي خمسة عشر دقيقة فإنه يزول وقت النهي ويدخل وقت صلاة الضحى. وينتهي قبل أذان الظهر بعشر دقائق لأنه قد دخل وقت نهي. وأقلها ركعتان، وأكثرها ثمان ركعات.

والصدقة والإنفاق للقادر عليه أفضل من غيره لتعدي نفعه، ومن جمع بينهما فقد حصَّل الأكمل.

وفي الحديث: الحث على الإكثار من الصدقات، شكراً لله ـ تعالى ـ على العافية ودفعاً للبلاء، فإذا عجز عن الشكر بالأفعال، شكر الله ـ تعالى ـ بالأقوال بإدامة ذكره، وإعلان تنزيهه وتعظيمه وإسداء النصح في دينه.

١٤٣٣ ـ وعَــنْ أُمِّ المؤمنينَ جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث ـ رضي الله عَنْها ـ أَنَّ النبــي ﷺ خَرجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وهِيَ في مسْــجدِهَا، ثُمَّ رَجع بَعْد أَنْ أَضْحى وهِيَ جَالِســةٌ فقال: «مازِلْت على الحال التي فارَقْتُكِ عَلَيْهَــا؟» قالَتْ: نَعم: فَقَال النبي ﷺ: «لَقَدْ قُلْــتُ بَعْدك أَرْبَعَ كَلِمَات ثَلاث مرَّات، لَوْ وُزِنَتْ بمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوم لَوَزَنْتهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وبحمْدِه عَدَدَ خَلْقِه، ورِضَاءَ نَفْسِه، وَزِنَةَ عرْشِه، ومِداد كَلِمَاته» [رواه مسلم].

وفي رواية لَهُ: «سُبْحَانَ الله عددَ خَلْقِه، سُبْحَانَ الله رِضَاءَ نَفْسِه، سُبْحانَ الله زِنَةَ عَرْشِه، سُبْحَانَ الله مداد كَلماته».

وفــي رواية الترمذي: «ألا أُعلِّمُك كَلمات تَقُولِينَها؟ سُــبْحانَ الله عَدَدَ خلْقه، سُــبْحانَ الله عَددَ خَلْقه، سُــبْحانَ الله عدد خَلْقه، سُــبْحانَ الله رضا نَفْسه، سُبْحان الله رضا نَفْســه، سُبْحانَ الله رضا نَفْســه، سُبحَانَ الله زنَةَ عرْشِه، سُــبحَانَ الله زنَةَ عرْشه، سُــبحَانَ الله زِنَةَ عرْشِه، سُبحَانَ الله مِدادَ كَلماتِه، سُبحَانَ الله مداد كَلماتِه، سُبحَانَ الله مِدادَ كَلماتِه».

❋ فــي هذا الحديــث؛ روت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مســجدها. أي؛ مصلاها. ثم رجع إلى منزلها بعد أن دخل وقت الضحى وهي جالسة. فسألها النبي ﷺ:

«مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟» أي؛ من التوجه للذكر؟ قالت: نعم.

قال ﷺ:

«لقد قلت بعدك» بعد أن فارقتك.

«أربع كلمات ثلاث مرات».

«لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن» أي؛ لســاوتهن في أجرهن وقابلتهن في فضلهن. أو يحتمل أن يراد به الرجحان.

قال القاري: «أي؛ لترجحت تلك الكلمات على جميع أذكارك، وزادت عليهن في الأجر والثواب، أو لساوتهن، أو غلبتهن، وفيه تنبيه على أنها كلمات كثيرة المعنى؛ لو قوبلت بما قلت لساوتهن».

«سبحان الله وبحمده» التسبيح تعظيم الله، وهي صيغة تعجب غير أنها ذكر لله ـ عز وجل ـ.

«عدد خلقه» أي؛ تسبيحاً عدد خلقه.

«ورضا نفسه» أي؛ ذاته العلية.

«وزنه عرشه» أي؛ ما يوازنه في القدر والوزانه. والعرش أكبر المخلوقات التي نعلمها.

«ومداد كلماته» ذكر القدر والعدد مجاز من المبالغة في الكثرة، وإلا فكلماته لا تعد ولا تحصى.

قال ابن القيم: «وهذا يسمى الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد؛ فلهذا كان أفضل منه».

وفي رواية له:

«ألا أعلمك كلمات تقولينها» وهذا من حرص النبي ﷺ وشفقته.

«سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه» التكرير لزيادة التفخيم والتعظيم.

قال ابن القيم: «فالتضعيف الأول للعد والكمية، والثاني للصفة والكيفية، والثالث: للعظم والثقل وليس للمقدار».

وفي رواية الترمذي: «ألا أُعلِّمُك كَلمات تَقُولينَها؟ سُبْحانَ الله عَدَدَ خلْقه، سُبْحانَ الله عَددَ خَلْقه، سُبْحانَ الله عدد خَلْقه، سُبْحانَ الله رضا نَفْسه، سُبْحان الله رضا نَفْسه، سُبْحانَ الله رضا نَفْسه، سُبحَانَ الله زنَةَ عرْشه، سُبحَانَ الله زنَةَ عرْشه، سُبحَانَ الله زنَةَ عرْشِه، سُبحَانَ الله مِدادَ كَلماتِه، سُبحَانَ الله مِدادَ كَلماتِه، سُبحَانَ الله مِدادَ كَلماتِه».

وفي الحديث: شرف الذكر بأي صيغه المذكورة في هذه الأحاديث، وكل ما يؤدي مؤداها، وأن الأجر ليس على قدر النصب، بل لله أن يأجر على العمل القليل بالأجر الجزيل.

وفيه: يستحب للمرأة أن تتخذ مسجداً لصلاتها في بيتها، لأن خير مساجد النساء قعر بيوتهن.

وفيه: حرص أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ على ذكر الله والإكثار منه.

وفيه: أنه يستحب للرجل إذا خرج من بيته وعاد إليه أن يسأل أهله عن حالهم؛ لأن فيه رعاية لهم، وتفقد لحالهم.

١٤٣٤ ـ وعنْ أبي مُوسَى الأشعريِّ، ـ رضي الله عنهُ ـ، عن النبي ﷺ، قال: «مَثَلُ الذي يَذكُرُ ربَّهُ وَالذي لا يذكُرُهُ، مَثَل الحيِّ والمَيِّت» [رواهُ البخاري].

ورواه مسلم فقال: «مَثَلُ البَيْتِ الَّذي يُذْكَرُ الله فِيهِ، وَالبَيتِ الذي لا يُذْكَرُ الله فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ».

❋ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد جملة من الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال:

«مثل الذي يذكر ربه» أي؛ مثل الرجل ـ والمرأة كذلك ـ الذي يذكر ربه بنوع من أنواع الذكر.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ عن الذكر: «أنه يورث حياة القلب».

«والذي لا يذكره» أي؛ الغافل عن ذكر الله.

«مثل الحي والميت» ووجه الشبه بين الميت والغافل عدم النفع والانتفاع من كل واحد منهما، وذلك لأن الذي يذكر الله ـ تعالى ـ قد أحيا الله قلبه بذكره وشرح له صدره، فكان كالحي، وأما الذي لا يذكر الله فإنه لا يطمئن قلبه والعياذ بالله، ولا ينشرح صدره للإسلام، فهو كمثل الميت.

قال العيني: «وجه الشبه بين الذكر والحي؛ الاعتداد والنفع والضرر ونحوها، والميت: التعطيل في الظاهر والبطلان في الباطن»

ورواه مسلم فقال:

«مثل البيت الذي يذكر الله فيه» بالدعاء والصلاة وقراءة القرآن والذكر والتسبيح.

«والبيت الذي لا يذكر الله فيه» أي؛ البيت الغافل أهله والمعرض فيه عن ذكر الله.

«مثل الحي والميت» قال ابن القيم: «جعل بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة الميت، وهو القبر.

وفي رواية البخاري؛ جعل الذاكر بمنزلة الحي، والغافل بمنزلة الميت الحي، فتضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات، ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور قلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور».

وقال ـ رحمه الله ـ: «إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله ـ تعالى ـ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله ـ تعالى ـ».

وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي. قال: أذبه بالذكر».

قال النووي: «فيه الندب إلى ذكر الله ـ تعالى ـ وفيه جواز التمثيل، وفيه أن طول العمر في الطاعة فضيلة وإن كان الميت ينتقل إلى خير، لأن الحي سيلحق به ويزيد عليه بما يفعله من الطاعات».

وفي الحديث: أن ترك الذكر يشبه الموت إذ أن تركه يورث الغفلة المبعدة عن فعل الخير فيقل النفع أو ينعدم، وهذا يشبه الميت في عدم الانتفاع به.

وفيه: الحث على الذكر وبيان فضله.

١٤٣٥ ـ وعنْ أبي هُريرةَ، ـ رضي الله عنْهُ ـ، أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «يقُولُ الله ـ تَعالى ـ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا مَعهُ إذا ذَكَرَني، فَإن ذَكرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفسي، وإنْ ذَكَرَني في ملإٍ، ذكَرتُهُ في ملإٍ خَيْرٍ منْهُمْ» [متَّفقٌ عليهِ].

❋ هذا الحديث من الأحاديث القدسية؛ وقد أورده المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل الذكر والحث عليه. قال ﷺ:

«قال الله ـ عز وجل ـ أنا عند ظن عبدي بي» أي؛ في الرجاء وحسن الظن بي وحسن الظن عبادة عظيمة.

قال ابن حجر: «أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به».

والعفو والظن في الشرع ينقسم إلى واجب؛ كحسن الظن بالله ـ تعالى ـ، وإلى حرام كسوء الظن به ـ تعالى ـ.

قال النووي: «قال العلماء: معنى حسن الظن بالله ـ تعالى ـ: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حال الصحة يكون خائفاً راجياً ويكونان سواء، وقيل يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك، أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله ـ تعالى ـ والإذعان إليه».

وقال الحافظ في الفتح: «أنا عند ظن عبدي بي» أجازيه بحسب ظنه بي، فإن رجا رحمتي اعفو عنه وأغفر له فله ذلك، لأنه لا يرجوه إلا مؤمن علم أن له رباً يجازيه. وإن يئس من رحمتي وظن أني أعاقبه وأعذبه فعليه ذلك، لأنه لا ييأس إلا كافر».

وقال ابن أبي جمرة: «معنى «ظن عبدي بي» ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن

المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكاً بصادق وعده».

قال ابن عثيمين: «يحسن الظن بالله إذا فعل ما يوجب فضل الله ورجاءه، فيعمل الصالحات ويحسن الظن بأن الله ـ تعالى ـ يقبله، أما أن يحسن الظن وهو لا يعمل؛ فهذا من باب التمنى على الله، ومن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني فهو عاجز».

«وأنا معه حيث يذكرني» فيه؛ اثبات المعية الخاصة بالمؤمنين، وهي تقتضي الرعاية والحفظ والتوفيق والنصر والتأكيد، وهي غير المعية العامة التي تشمل الخلق كافة.

وفي الحديث «إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في الملأ الأعلى». «في ملأ» أي جماعة، افتخاراً بي وإجلالاً بين خلقي، وتذكيراً لهم، ذكرته في ملأ خير منهم مباهاة به، وتعظيماً لقدره بين ملائكتي.

وفي الحديث: وجوب حسن الظن بالله ـ عز وجل ـ، والحث على الذكر في كل حال.

١٤٣٦ ـ وعَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سبقَ المُفَرِّدُونَ» قالوا: ومَا المُفَرِّدُونَ يا رسُول الله؟ قال: «الذَّاكِرُونَ الله كَثيراً والذَّاكِراتُ» [رواه مسلم].

روي: المُفَرِّدُونَ بتشديد الراء وتخفيفها، والمَشْهُورُ الَّذي قَالَهُ الجمهُورُ: التَّشديدُ.

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ على الذاكرين؛ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وفي هذا الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«سبق المفردون» أي؛ أنهم سبقوا غيرهم إلى مرضاة المولى والدرجات العلا، وذلك بسبب ذكرهم لله ـ تعالى ـ. والمفردون: المنفردون.

(قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟) أي؛ ما صفتهم حتى نتأسى بهم فنسبق إلى ما سبقوا إليه.

قال ابن قتيبة وغيره: «أصل المفردون: الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم، فبقوا يذكرون الله».

قال المناوي: «سبق المفردون» أي؛ المنفردون المعتزلون عن الناس، من فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله، أي سبقوا نيل الزلفى، والدرجات العلى».

وأول هذا الحديث أن رسول الله ﷺ كان يسير في طريق مكة. فمر على جبل يقال له: جُمدان، فقال «سيروا هذا جمدان، سبق المفردون» الحديث.

قال القرطبي: «وإنما ذكر النبي ﷺ هذا القول عقيب قوله «هذا جمدان» لأن جمدان جبيل بين قديد وعسفان منفرد بنفسه هنالك، ليس بحذائه جبل، فكأنه تفرد هناك، فشبه بهؤلاء المنفردين، والله أعلم، وهؤلاء القوم سبقوا في الدنيا إلى الأحوال السنية وفي الآخرة إلى المنازل العلية».

قال ﷺ: في صفتهم أنهم:

«الذاكرون الله كثيرا» أي؛ المداومون على ذكر الله ـ عز وجل ـ في كل أوقاتهم وأحيانهم.

قال مجاهد: «لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً».

وقال القرطبي: «وهذه الكثرة المذكورة هنا؛ هي المأمور بها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١﴾ [الأحزاب: ٤١] وهذا المساق يدل على أن الذكر الكثير واجب، لأنه لم يكتف بالأمر حتى أكده بالمصدر، ولم يكتف بالمصدر حتى أكده بالصفة، ومثل هذا لا يكون في المندوب، قال ابن عباس ليس شيء من الفرائض إلا وله حد ينتهي إليه إلا ذكر الله».

«والذاكرات» أي؛ الله كثيراً.

وفي الحديث: استحباب الذكر والمداومة عليه، فإن السبق في الآخرة إنما يكون بكثرة الطاعات والإخلاص في العبادات.

وفي الحديث: دليل على أن الذاكرين الله كثيراً لهم السبق على غيرهم، لأنهم عملوا أكثر من غيرهم، فكانوا أسبق إلى الخير.

١٤٣٧ ـ وعن جابر ـ رضي الله عَنْهُ ـ قالَ: سمعْتُ رسُول الله ﷺ يقولُ: «أَفْضَلُ الذِّكرِ: لا إله إلاَّ الله» [رواهُ الترمِذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ].

❊ ذكر الله من أجل العبادات وأحبها إليه ـ سبحانه ـ، فلم يزل يأمر به عباده ويحثهم عليه تزكية لنفوسهم، وتقوية لإيمانهم، وزيادة في يقينهم، وقد أمر ـ عز وجل ـ في كتابه بالإكثار من ذكره فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

وأخبر ـ عز وجل ـ أن ذكره سبب لطمأنينة القلوب، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

ولا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر الأحاديث في فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أفضل الذكر» أي؛ أكثره أجراً وأعظمه أثراً.

«لا إله إلا الله» وهي كلمة التوحيد، لا يماثلها شيء، وهي الفارقة بين الكفر والإيمان التي يدخل بها الإنسان في دين الإسلام، فهي مفتاح الإسلام، كما جاء في الحديث «أن مفتاح الجنة هو لا إله إلا الله».

وفيها إثبات للوحدانية ونفي للشرك، وهي أفضل ما قاله الأنبياء، ومن أجلها بعثوا، وتحت رايتها جاهدوا، وفي سبيلها استشهدوا، وهي مفتاح الجنة والخلاص من النار.

وهي أجمع للقلب مع الله، وأنفى للغير، وأشد تزكية للنفس وتصفيه للباطن من خبث النفس، وأطرد للشيطان.

قال ابن حجر: «أفضل الأذكار التي لم يخصها الشرع بحال أو زمن: القرآن، وبعده التهليل لخبر: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»».

وقد وردت أحاديث عديدة في الحث على هذا الذكر في أحوال أوقات مخصوصة، فمن ذلك:

بعد الوضوء، وإذا استيقظ المرء من نومه أثناء الليل، وفي أول النهار إذا أصبح، وعند الكرب والضيق، ويوم عرفة، وغيرها.

(ولا إله إلا الله) هي ثمن الجنة، ومن كانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة، وهي نجاة من النار، وهي توجب المغفرة، وهي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب، وهي تخرق الحجب حتى تصل إلى الله ـ عز وجل ـ وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها، وهي أفضل ما قاله النبيون، وهي أفضل الذكر، وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان، وهي أمان من وحشة القبر وهول الحشر، وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم.

ومن فضائلها: أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

ومن فضائلها: أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لا بد أن يخرجوا منها.

وفي الحديث: أن أفضل الذكر كلمة التوحيد؛ لأنها تشمل على جميع معاني الذكر، من تسبيح، وحمد، وتكبير، وتعظيم، وهي الكلمة التي قامت عليها السموات والأرض، وبها بعث المرسلون. وقيل: هي اسم الله الأعظم.

١٤٣٨ـ وعنْ عبد الله بن بُسْر ـ رضي الله عنْهُ ـ أنَّ رَجُلاً قال: يا رسُولَ الله، إنَّ شَرائِعَ الإسْلام قَدْ كَثُرتْ عليَّ، فَأخبرْني بِشيءٍ أتشَبَّثُ بِهِ قال: «لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللهِ» [رواهُ الترمذي وقال: حديثٌ حَسَنٌ].

❁ في هذا الحديث؛ الحث على الذكر وبيان فضله.

وفيه؛ عن عبد الله بن بسر ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً ـ قيل أنه أعرابي ـ قال: (يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي) سواء من واجب أو مندوب شرعه الله ـ عز وجل ـ لعباده من الأحكام.

(فأخبرني بشيء أتشبث به) واتعلق ليكون مغنياً لي عن النوافل التي كثرت علي فعجزت عن استقصائها.

قال رسول الله ﷺ موجهاً ومعلماً له:

«لا يزال لسانك رطباً» قال الطيبي: «رطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يبسه عبارة عن ضده، ثم أن جريان اللسان حينئذ عبارة عن مداومة الذكر، فكأنه قال: داوم الذكر؛ فهو من أسلوب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]».

وقيل: رطوبة اللسان عبارة عن مداومته، وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

«من ذكر الله» من قراءة القرآن، ومن التهليل والتسبيح، والتكبير وغيرها.

قال ابن القيم: «الذكر هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته».

وقال الحسن: «أحب عباد الله إلى الله، أكثرهم له ذكراً، وأتقاهم قلباً».

قال ابن تيمية: «ملازمة ذكر الله أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة».

وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، «رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه».

ومن فوائد الذكر: أنه يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن، ويزيل الهم والغم عن القلب، وأنه يقوي القلب والبدن، وينور الوجه والقلب، ويجلب الرزق، وأنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، وأنه يورث المراقبة حتى يدخله باب الإحسان، وأنه يورث الإنابة لله ـ عز وجل ـ وأنه يورثه ذكر الله ـ تعالى ـ له؛ كما قال سبحانه ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة.

وفي الحديث: أن الذكر طاعة سهلة ميسرة لكنها ثقيلة في الميزان؛ لذلك ندب النبي ﷺ على الاشتغال بالذكر.

ولهذا قال ابن القيم: «أشد العقوبة أن يمسك الله لسانك عن ذكره».

وفي الحديث: فضل الذكر والمداومة والحث عليه.

وفيه: سعة فضل الله ـ تعالى ـ فيعطي الثواب الجزيل على العمل القليل.

وفيه: عجز الإنسان عن استقصاء الطاعات لكثرتها، فإذا أراد أن يعوض عن استقصائها ثواباً؛ فليكن لسانه مع قلبه مشغولين بذكر الله ـ تعالى ـ وتسبيحه؛ وهذا سهل يسير على الإنسان.

١٤٣٩ ـ وعن جابر ـ رضي الله عنهُ ـ، عَنِ النبي ﷺ قال: «**منْ قال: سُبْحانَ اللهِ وبحَمدِهِ، غُرِستْ لهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ**» [رواه الترمذي وقال: حديث حسنٌ].

❁ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال:

من قال:

«**سبحان الله**» تتضمن أصلاً عظيماً من أصول التوحيد، وركنا أساسياً من أركان الإيمان بالله ـ عز وجل ـ، وهو تنزيهه ـ سبحانه وتعالى ـ عن العيب، والنقص، والأوهام الفاسدة، والظنون الكاذبة.

قال ابن عباس: «**سبحان الله**» تنزيه الله ـ عز وجل ـ عن كل سوء.

«**وبحمده**» قيل الواو زائدة. أي؛ تسبيحاً مقروناً بحمده من أجل توفيقه.

«**غرست له**» بصيغة المجهول، يقال غرست الشجرة غرساً وغراساً، إذا نصبتها في الأرض.

«**نخلة في الجنة**» المعدة لقائلها.

وإنما خص النخل من الأشجار؛ لأنها أنفع الأشجار وأطيبها، وهو مشبه بالمؤمن من بين سائر الأشجار.

ويشهد لهذا الحديث؛ قوله ﷺ في حديث الإسراء عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ «**إن الجنة قيعان، وإن غرسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**».

قيل: خصت النخلة لكثرة منفعتها وطيب ثمرتها، ولذلك ضرب الله ـ تعالى ـ مثل المؤمن وإيمانه بها وثمرتها في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وقال العطاء: «وذلك لبركتها وهي في الدنيا فكيف بنخل الجنة».

قال ابن حجر: «وبركة النخلة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أصوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً؛ كما قال تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥] ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب، والليف في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى».

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ عند هذا الحديث: «سبحان الله كم فاتنا من النخلات».

أي؛ من ترك التسبيح والغفلة عنه.

قال الكعرجي عند قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥] «كلما أكثر المرء ذكر الله كان أزيد لفلاحه وأجدر لنجاحه، وأقرب إلى النجاة من عذاب ربه».

وفي الحديث: الحث على الذكر عموماً، وهذا الذكر خصوصاً.

وفيه: أن من قال: «سبحان الله وبحمده» غرست له نخلة في الجنة.

١٤٤٠ ـ وعن ابنِ مسْعُودٍ ـ رضي الله عَنْهُ ـ قال: قال رسُول الله ﷺ «لَقيتُ إبراهيمَ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بي فقال: يا مُحمَّدُ أقرِيءْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلام، وأَخبرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّربَة، عذْبةُ الماءِ، وأَنَّها قِيعانٌ وأَنَّ غِرَاسَها: سُبْحانَ الله، والحمْدُ لله، ولا إله إلاَّ الله والله أكْبَرُ» [رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ].

❊ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«لقيت إبراهيم ﷺ ليلة أسري بي» أي؛ عند البيت المعمور، وذلك في ليلة الإسراء والمعراج.

قال ابن تيمية: «وأفضل الأنبياء بعد محمد ﷺ إبراهيم الخليل».

وليلة الإسراء والمعراج؛ من آيات الله العظيمة الدالة على صدق رسول الله ﷺ، وعلى عظم منزلته عند الله ـ عز وجل ـ، كما أنها من الدلائل على قدرة الله الباهرة، وعلى علوه على جميع خلقه، وهذه الليلة لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا في غيره، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات ولم يجز أن يحتفلوا بها، لأن النبي ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ لم يحتفلوا بها ولم يخصوها بشيء، ولو كان ذلك أمراً مشروعاً لبينه النبي ﷺ للأمة إما بالقول وإما بالفعل.

«فقال: يا محمد أقريء» أي؛ بلغ.

«أمتك مني السلام» وهي أمة الإجابة، والمصلي يرد هذا السلام فأكثر مما هو عليه، إذ هو يصلي على إبراهيم ـ عليه السلام ـ في كل صلاة.

قال في فتح الإله: «لا يبعد أنه ينبغي لمن سمع هذا أن يقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته».

«وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة» لأن ترابها المسك والزعفران، ولا أطيب منهما.

«عذبه الماء» أي؛ غير متغير بملوحة ولا غيرها، كما قال تعالى: ﴿أَنْهَرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥] ولا يتغير بطول المكث، وإذا طابت التربة وعذب الماء كان الغراس أطيب وأفضل لأنه بلغ النهاية في الصلاح والنمو. وإذا كانت تلك التربة طيبة، وماؤها عذباً، كان الغراس أطيب، لا سيما أن الغرس هي الكلمات الطيبات، وهي الباقيات الصالحات.

«وأنها قيعان» جمع قاع: وهو المكان الواسع المستوي من الأرض. يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته.

«وأن غراسها» جمع غرس؛ وهو ما يستر في تراب الأرض من نحو البذر لينبت بعد ذلك.

«سبحان والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» أي؛ أعلمهم أن هذه الكلمات سبب لدخول قائلها الجنة وكثرة أشجار منزله فيها.

لأنها كلما كرر نبت أشجار بعددها، لا مخالفة بين هذا نحو قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف: ٣١] المفيد أنها خالية عن الأشجار، لأنها سميت جنة لأشجارها المتكاثفة بالتفاف أغصانها ودلالة الجنة على معنى الستر. وذلك لأنه لا دلالة في حديث الباب على الخلو العلني عن الأشجار والقصور، لأن معنى كونها قيعاناً أن أكثرها مغروس؛ وما عداه منها أمكنه واسعة بلاغراس لتغرس بتلك الكلمات، ويتميز غرسها الأصلي الذي بلا سبب عن غرسها المسبب عن تلك الكلمات، وحكمته تفاوت شكر المتمتع بذلك على ما غرسه هو بقوله تلك الكلمات وعلى ما لم يغرسه، وإنما غرس له أجراً لعمله لتفاوت التذاذه بذلك، لأن ما تعب الإنسان في غرسه ليس كالذي يجئ له مغروساً بلا تعب.

١٤٤١ ـ وعــنْ أَبي الدَّرداءِ، ـ رضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ: قالَ رســولُ اللهِ ﷺ: «أَلا أُنبِّئُكُــم بِخَيْرِ أَعْمَالِكُم، وأَزْكَاهَا عند مليككــم، وأَرْفعها في دَرجاتِكم، وخَيْــرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ والفضَّــةِ، وخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَــوْا عدُوَّكم، فَتَضربُوا أَعْنَاقَهُــم، ويضربــوا أَعْنَاقكُم؟» قالــوا: بلَى، قال: «ذِكْرُ اللهِ ـ تَعالـى ـ» [رواهُ الترمذي، قالَ الحاكمُ أَبو عبد اللهِ: إِسناده صحيح].

❋ هــذا الحديث أورده؛ المؤلف ـ رحمــه الله تعالى ـ في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفيه؛ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«ألا أنبئكم» أي؛ ألا أعلمكم وأخبركم.

«بخير أعمالكم» أي؛ أفضلها.

«وأزكاها» أي؛ أكثرها ثواباً، وأطهرها وأنماها.

فــالأول: أفضــل في نفســها. والثاني: أنهــا تنمو عنــده ـ تعالى ـ وتزكوا.

«عنـد مليككم» الملك، وهو الله ســبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٥].

«وأرفعهــا فــي درجاتكــم» أي؛ وأزيدها وأكثرها رفعــة في درجاتكم في منازلكم في الجنة.

«وخيــر لكــم من إنفــاق الذهب والفضــة» أي؛ بما هو خيــر لكم من بذل أموالكم النفيسة.

«وخير لكم من أن تلقوا عدوكم» أي؛ الكفار في معترك الحرب وســاحات القتال.

«فتضربوا أعناقهم» لإعلاء كلمة الله.

«ويضربوا أعناقكم؟» أي؛ وتقتلون في سبيل الله.

(قالوا: بلى).

قال ﷺ:

«ذكر الله ـ تعالى ـ» أي؛ بالمداومة على ذكر الله ظاهراً وباطناً فإنها من أعظم القرب وأنفعها عند الله ـ تعالى ـ، لأنها تشغل الوقت كله والعمر كله، فهو نوع من الجهاد الذي يحمل الناس على التقوى، ويبعدهم عن الفتن وشهوات النفس الأمارة بالسوء فيكون المؤمن على صلة دائمة بربه.

قال العز بن عبد السلام: «هذا الحديث على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يؤجر الله ـ تعالى ـ على قليل العمل أكثر مما يأجر على كثيرة».

قيل: لعل الخيرية والأرفعية في الذكر لأجل أن سائر العبادات من إنفاق الذهب والفضة، ومن ملاقاة العدو والمقابلة معهم، إنما هي وسائل ووسائط العباد بها إلى الله ـ تعالى ـ، والذكر إنما هو المقصود الأسمي، والمطلب الأعلى، وناهيك عن فضيلة الذكر؛ قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقوله: «أنا جليس من ذكرني، وأنا معه، إذا ذكرني في نفسه؛ ذكرته في نفسي...» الحديث.

وفي الحديث: بيان فضل الذكر، وأنه يعدل اضرب بالسيف في سبيل الله، ونفقه الأموال في سبيل الله.

وفيه: أن فضل الله واسع، فهو بجوده وكرمه يُعطي على القليل كثيراً.

١٤٤٢ ـ وعن سعْد بن أَبي وقَّاص ـ رضي الله عَنْهُ ـ أَنَّهُ دَخَل مع رسول الله ﷺ على امْرأَةٍ وبيْنَ يديْهَا نَوىً ـ أَوْ حصىً ـ تُسبِّحُ به فقال: «أَلا أُخْبِرُك بما هُو أَيسرُ عَليْك مِنْ هذا ـ أَوْ أَفْضَلُ ـ فقالَ: سُبْحانَ الله عددَ مَا خَلَقَ في السَّماءِ، وَسُبْحانَ الله عددَ ما خَلَقَ في الأَرْضِ، سُبحانَ الله عددَ ما بيْنَ ذلك، وسبْحانَ الله عدد ما هُوَ خَالِقٌ. والله أَكْبرُ مِثْلَ ذلكَ، والحَمْد للهِ مِثْل ذلك، ولا إِله إِلا الله مِثْل ذلكَ، ولا حوْل ولا قُوَّةَ إِلاَّ بالله مِثْلَ ذلك» [رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ].

❀ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الذكر. وفي هذا؛ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى ـ أو حصى ـ.

والنوى، جمع نواه وهي بذرة التمر؛ تسبح به؛ فقال ﷺ:

«ألا أخبرك بما هو أيسر عليك» أي؛ أسهل وأخف.

«من هذا ـ أو أفضل ـ» أي؛ من هذا الجمع والتعداد والتسبيح بما عندها من النوى أو الحصى.

فقال مُعلماً:

«سبحان الله عدد ما خلق» «ما» عام في الاجناس كلها ما يعقل منها وما لا يعقل.

وفي قوله «عدد ما خلق» فيه تغليب لكثرة خير ذوي العقول الملحوظة في المقام.

«في السماء» أي؛ في عالم العلويات جميعها.

«وسبحان عدد ما خلق في الأرض» أي؛ في عالم السفليات كلها.

«وسبحان الله عدد ما بين ذلك» أي؛ المذكور بين السماء والأرض، أو المذكور مما خلق فيهما.

«وسبحان الله عدد ما هو خالق» أي؛ خالقه منذ بدء الخلق إلى منتهاه.

«والله أكبر مثل ذلك» أي؛ أن الله ـ عز وجل ـ أكبر من كل شيء في هذا الوجود.

«والله» علم على الذات العلية الواجبة الوجود، المستحقة لجميع المحامد، أنزله على آدام في جملة الأسماء، وهو أشهر أسمائه، ولهذا تأتي بعد أوصافاً له.

«والحمد لله مثل ذلك» الحمد؛ هو الثناء على الله ـ عز وجل ـ بالجميل الاختياري مع المحبة والتعظيم.

قال ابن عثيمين: «الحمد» وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم».

«ولا إله إلا الله مثل ذلك».

«ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك» كلمة استسلام وتفويض إلى الله ـ تعالى ـ واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر.

وقيل: لا حول للعبد في دفع شر، ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله.

وفيه: أن التسبيح بغير الأصابع جائز، لأن النبي ﷺ لم ينهها عن ذلك لكنه دلها على ما هو أفضل منه.

ولكنه مخالف لهدي النبي ﷺ الذي كان يعقد التسبيح بيمينه، ومناف لعلته الشرعية التي بينها خير البرية عندما أخبر أنهن مستنطقات.

قال ابن تيمية: «وعد التسبيح بالأصابع سنة».

قال ابن باز: «لا نعلم أصلا في الشرع المطهر للتسبيح بالمسبحة، فالأولى عدم التسبيح بها، والاقتصار على المشروع في ذلك وهو التسبيح بالأنامل».

١٤٤٣ ـ وعنْ أَبي مُوسى ـ رضي الله عنْه ـ قال: قالَ لي رسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلا أَدُلُّك على كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «لا حول ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ» [متفقٌ عليه].

❁ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من الأحاديث في باب فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال لي رسول الله ﷺ:

«ألا أدلك» أي؛ أعلمك وأرشدك، والاستفهام هنا للتشويق.

«على كنز» سمى هذه الكلمة كنزاً لنفاستها ومكانتها.

والكنز: هو المال المدفون المدخر.

«من كنوز الجنة؟» أي؛ يعد لقائله ويدخر له من الثواب ما يقع في الجنة موقع الكنز في الدنيا، لأن من شأن الكافرين أن يستعدوا به ويستظهروا بوجدان ذلك عند الحاجة.

قال الصنعاني: «أي ثوابها مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموال العباد، فالمراد مكنوز ثوابها عند الله لكم، وذلك لأنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر».

فقلت: بلى يا رسول الله ﷺ.

قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» تبرأ من الحول والقوة إلا بالله ـ عز وجل ـ، لأن في ذلك خضوع واستلام لرب العالمين.

والمراد: لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئته الله ـ عز وجل ـ.

وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة على تحصيل خير إلا بالله.

وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعته إلا بعونه.

قال النووي: «قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله ـ تعالى ـ واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر؛ ومعنى الكنز هنا: أنه ثواب مدخر في الجنة، وهو ثواب نفيس، كما أن الكنز أنفس أموالكم».

«ولا حول ولا قوة إلا بالله» كلمة استعانة؛ إذا أعياك الشيء وعجزت عنه قل: «ولا حول ولا قوة إلا بالله» فإن الله ـ تعالى ـ يعينك عليه وييسر لك الأمر ويسهله.

قال ابن تيمية: «هذه الكلمة هي كلمة استعانة لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جزعاً لا صبراً»

وفي الحديث: أن النبي ﷺ كان يُعلم أمته ما ينفعهم، فلا يراهم على حاله من الخير إلا أحب لهم الزيادة.

وفيه: أن قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» من ذخائر الجنة ومحصلات نفائسها.

وفيه: الحث على هذا الذكر لثوابه ولعظيم جزاءه.

وفيه: استحباب الإكثار من الحوقلة، لأنها تعنى الاستسلام والتفويض لله، وأن العبد لا يملك من أمر شيئاً وليس له حيلة في دفع شر ولا في جلب خير إلا بإرادة الله ـ تعالى ـ.

٢٤٥ ـ باب ذكر الله ـ تعالى ـ قائماً وقاعداً ومضطجعاً ومحدثاً وجُنباً وحائضاً إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب ذكر الله ـ تعالى ـ على كل حال قائماً وقاعداً ومضطجعاً. أي؛ مستلقي ونحوه.

وكذلك: محدثاً؛ حدثاً أصغر من نحو نوم وحائض وجنب؛ إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض.

قال ابن باز: «لا بأس ولا حرج أن تقرأ المرأة وهي حائض أو نفساء ما تيسر من القرآن عن ظهر قلب لأن الأدلة الشرعية دلت على ذلك».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إذا جعل الأولى مرفوعة على عمد، والثانية: مدحوة مسطحة على ماء جمد.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي؛ في اختلافها بالظلمة والإضاءة أو تعاقبهما، أو تكوير أحدهما على الثاني وإيلاجه فيها، أو تعارضها بالطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر ذلك، ثم يتعادلان، ثم يقصر الذي كان طويلاً، ويطول الذي كان قصيراً؛ كل ذلك بتقدير العزيز العليم.

﴿لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ دلالات على الوجود والعلم والمقدرة لذوي العقول الخالصة.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ وصف لأولي الألباب.

﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ والمراد؛ مداومة الذكر فإن الإنسان قلما يخلو من إحدى هذه الحالات.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي؛ ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق، وقدرته، وتوحيده، وحكمته.

قال عمر بن عبد العزيز: «الكلام بذكر الله ـ عز وجل ـ حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة».

قال ابن القيم: «الذكر رأس أموال سعادة الذاكرين التي يتجرون بها، ورياض جنتهم التي فيها يتقلبون، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، ويوصل الذكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكوراً، وعلى كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة بل مأمورة بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال؛ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، وكما أن الجنة قيعان ـ وهو غراسها ـ فكذلك القلوب بور وخراب، وهو عمارتها وأساسها، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً؛ ازداد المذكور محبة، وإلى لقائه اشياقاً، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته، وبالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة».

١٤٤٤ ـ وعنْ عائشـــة ـ رضيَ الله عنْهَا ـ قَالَت: كانَ رسُـــولُ الله ﷺ يذكُرُ الله ـ تَعالى ـ على كُلِّ أَحيانِه. [رواه مسلم].

❁ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر الأحاديث التي في باب الذكر وفضله.

فالذكر له شـــأن عظيم، فهو من أفضل الأعمال، وأفضله قراءة القرآن، ثم ما شرعه الله ـ تعالى ـ لعباده من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، والدعاء.

قـــال تعالـــى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢] إلى غير ذلك من الآيات في فضل الذكر والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

(كان رسول الله ﷺ) (كان) تدل على المداومة والاستمرار.

(يذكر الله ـ تعالى ـ) بالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، وغيرها من الأذكار.

(على كل أحيانه) أي؛ جميع أحواله.

و(أحيان) جمع حين، وهو الزمن ما قلَّ منه وما كثر، وما قصر وطال. سواء كان متطهراً من الحدثين أو به أحدهما.

لأن ذكر الله ـ ســـبحانه ـ؛ قـــوت القلوب وغذاء الأرواح، فهو للقلب بمنزلة الماء للحوت، فما فارقه لم يلبث القلب يموت.

قال شيخ الإسلام: «الذكر سبب لتغذية القلب بمحبة الله».

قـــال النووي: «اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التســـبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوهما بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر الله ـ تعالى ـ».

والذكر نوعان:

الأول: مطلق؛ فالمطلق ليس له عدد محدد، بل يذكر الإنسان ربه قدر استطاعته.

الثاني: المقيد، فالأصل فيه أن يتقيد الذاكر فيه على الوارد كقوله «**سبحان الله وبحمده**» مائة وقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» مائة.

وفي الحديث: أن الذكر يكون على أي هيئة كان عليها الإنسان طاهراً أو محدثاً.

وفيه: الحث على ذكر الله ـ عز وجل ـ؛ واستثنى العلماء أن يذكر الله ـ تعالى ـ في الأماكن القذرة، مثل أماكن قضاة الحاجة ونحوها تكريماً لذكر الله ـ عز وجل ـ عن هذه المواضع.

وفيه: بيان فضل زوجات النبي ﷺ إذ نقلن هذا العلم للأمة.

١٤٤٥ ـ وعن ابن عبَّاس ـ رضي الله عنْهما ـ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لو أَنَّ أَحدكُمْ إذا أَتَى أَهلَهُ قالَ: بِسْمِ اللهِ اللهمَّ جَنِّبْنَا الشَّيطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيطانَ مارزَقْتَنَا،فَقُضِي بيْنَهُما ولَدٌ،لم يضُرّهُم» [متفقٌ عليه].

❀ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب ذكر الله ـ تعالى ـ على كل أحواله.

وفي هذا الحديث؛ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال:

«لو أن أحدكم» أي؛ لو ثبت أن الواحد منكم.

«إذا أتى أهله» أي؛ عند إرادة الجماع. وفيه؛ أن من أدب الشريعة حسن الكناية؛ فكنى ﷺ بالإتيان عن مباشرة الجماع أو قبله.

قيل: لودعت به الزوجة فلا بأس؛ لأن الأصل عدم الخصوصية

«قال بسم الله» أي؛ باسم الله التحصن بالله واستعيذ واتحرز.

«اللهم جنبنا الشيطان» أي؛ أبعده عنا. لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

«وجنب الشيطان ما رزقتنا» دخل فيه الجماع، وفيه إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله.

«فقضي بينهما ولد لم يضره» أي؛ كتب لهما وقدر بذلك الجماع ولد لم يضره الشيطان بأذى.

قال القاضي: «قيل المراد به أن لا يصرعه شيطان».

قال ابن دقيق العيد: «وقوله عليه السلام «لم يضره الشيطان» يحتمل أن يؤخذ عاماً، يدخل تحته الضرر الديني، ويحتمل أن يكون خاصاً بالنسبة إلى الضرر البدني؛ بمعنى أن الشيطان لا يتخبطه، ولا يداخله بما يضر عقله، أو بدنه، وهذا أقرب، وإن كان التخصيص على خلاف الأصل، لأن إذا حلنا

على العموم اقتضى ذلك: أن يكون الولد معصوماً عن المعاصي كلها، وقد لا يتفق ذلك أو يعز وجوده، ولا بد من وقوع ما أخبر عنه ﷺ، أما إذا حملنا على أمر الضرر في العقل أو البدن؛ فلا يمتنع ذلك، ولا يدل دليل على وجود خلافه والله أعلم».

وفي الحديث: وعد لمن قال ذلك ورزق ولدا: أن الشيطان لا يضره. وليس في الحديث أن من غير هذا الذكر أن الشيطان يضر ولده ولا بد، أو أن الشيطان يكون له نصيب في ذلك الجماع ولا بد، وإنما ورد ذلك عن بعض السلف.

قال الألباني: «أن من نسي الدعاء وكان دائماً يذكره، فهذا في غالب ظني أن الله سيحفظه من مشاركة الشيطان له في جماع زوجته، بعكس غيره، والحكم متعلق بالغالب».

قال ابن أبي جمرة الأزدي: «فانظر إلى هذا الخبر العظيم ما أعظمه، وذلك بقليل من الفعل لكن مع ذلك ما أقل فاعله، فما ينفع البيان إذا وقع الحرمان».

قال ابن باز: «ظاهر الحديث أن الدعاء يقال حتى لو كانت الزوجة حاملاً».

وفي الحديث: دليل على أنه ينبغي للمسلم أن يذكر الله ـ عز وجل ـ في كل حال، وقبل الشروع في الجماع.

وفيه: أن حفظ المولود من مس الشيطان وأذاه ببركة هذا الذكر فيما إذا حملت المرأة من ذلك الجماع.

وفيه: الاعتصام بذكر الله ودعائه من الشيطان، والتبرك باسمه، والاستعاذة به من جميع الأسواء.

٢٤٦ ـ باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه

١٤٤٦ ـ عن حُذَيْفَةَ، وأَبي ذَرٍّ ـ رضيَ الله عَنْهُمَا ـ قالا: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أَوَى إلى فراشه قال: «باسمكَ اللهمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ» وإذا اسْتيقَظَ قالَ: «الحَمْدُ للهِ الذي أَحْيَانَا بعد مَا أَماتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشورُ» [رواه الترمذي].

النوم آية من آيات الله العظيمة الدالة على كمال قدرته ورحمته وحكمته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٣].

وهو نعمة من نعم الله على الإنسان الذي يكدح طول يومه لأنه يستريح فيه من تعب سابق، وينشط فيه لعمل لاحق، فهو ينفع الإنسان فيما مضى وفيما يستقبل، وهو من كمال الحياة الدنيا، وذلك لأن الدنيا ناقصة فتكمل بالنوم لأجل الراحة.

وفي النوم؛ دلالة على البعث والنشور، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢].

ولا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث الخاصة بآداب وأذكار النوم. وفي هذا الحديث عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال:

كان النبي ﷺ إذا آوى إلى فراشه، قال:

«اللهم باسمك أموت وأحيا» أي؛ أنت تحييني وتميتني، وقيل: على ذكر اسمك أموت.

قال القرطبي: «فيه دلالة على أن الاسم المسمى: أي؛ أنت تحييني وتميتني، فأموت راجياً بقدرتك».

(وإذا استيقظ) من نومه. قال:

«الحمد الله الذي أحيانا بعدما أماتنا» أي؛ أيقظنا بعد منامنا، وفي التعبير بالإحياء والإماتة هنا استعارة تبعيه. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وهذه الوفاة الكبرى ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ يتوفاها في منامها ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ وهي الأولى ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وهي النائمة، يعني يطلقها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت معلوم عنده ـ جل وعلا ـ.

قال الطيبي: «لما كان الانتفاع بالحياة بتحري رضا الله ـ تعالى ـ بأعمال البر فيها، والنائم لاحظ له من هذا الانتفاع؛ كان كالميت، فكان الحمد شكر لنيل هذه النعمة، وزوال تلك الفترة؛ وبه ينتظم مع قوله:

«وإليه النشور» والنشور؛ هو الإحياء للبعث يوم القيامة.

فنبه ﷺ بإعادة اليقظة بعد النوم الذي هو كالموت على إثبات البعث بعد الموت.

أي؛ المرجع إليه ـ تعالى ـ في نيل ثوابه ما اكتسبه في الحياة. أي؛ أن ذلك منه ـ تعالى ـ لا مدخل لغيره فيه.

قال العلماء: «وحكمة الدعاء عند إرادة النوم أن تكون خاتمة أعماله كما سبق، وحكمته إذا أصبح أن يكون أول عمله بذكر التوحيد والكلم الطيب».

ومن السنة عند الاضطجاع على الشق اليمين؛ أن يضع يده اليمنى تحت خده الأيمن.

قال ابن عثيمين: «ينام على شقه الأيمن هذا هو الأفضل سواء كانت القبلة خلفك أو أمامك أو عن يمينك أو عن شمالك، النوم على الأيمن هو المهم».

٢٤٧ ـ باب فضل حِلَق الذِّكْر والنَّدب إلى ملازمتها والنهّي عن مفارقتها لغير عذر

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل حلق الذكر والمراد الاجتماع على ذكر الله ـ تعالى ـ، والندب إلى ملازمتها بذكر فضلها والنهي تنزيهاً عن مفارقتها لغير عذر.

وأورد المؤلف قول تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي؛ أحبسها وثبتها وأجلسها.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ أي؛ اجلس مع الذين يذكرون الله ويسألونه طرفي النهار، أوله، وآخره، بكرة وعشيا؛ سواء كانوا فقراء أو أغنياء.

قيل: أنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحدهم، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه، فنهاه الله عن ذلك.

وفي الحديث؛ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع النبي ﷺ ستة، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يمترؤون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود. ورجل من هذيل وبلال، ورجلان لست اسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٢].

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ﴾ أي؛ يريدون الله لا عرضاً من الدنيا. وهذا دليل على إخلاصهم لله ـ عز وجل ـ.

﴿وَلَا تَعْدُ﴾ أي؛ لا تنصرف.

﴿عَيْنَاكَ﴾ أي؛ بصرك.

﴿عَنْهُمْ﴾ أي؛ إلى غيرهم بالنظر إلى ذوي الغنى والرتب من كفار قريش، حيث أنهم طلبوا منه ﷺ أن يفرد لهم مجلساً لا يكون فقراء الصحابة فيه، وهو سبب النزول.

قال ابن عباس: «ولا تجاوزهم إلى غيرهم؛ يعني: لا تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة».

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي؛ شغل عن الدين، وعبادة ربه بالدنيا.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في طلب الشهوات.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ أي؛ ضياعاً.

١٤٤٧ ـ وعن أَبي هُريرةَ ـ رضي الله عنهُ ـ قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ لله ـ تعالى ـ ملائكَةً يَطوفُونَ في الطُّرُق يَلْتَمسُونَ أَهْلَ الذِّكْر، فإذا وَجدُوا قَوْماً يذكُرُونَ الله ـ عَزَّ وَجلَّ ـ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجتكُمْ، فَيَحُفُّونَهم بأَجْنحَتهم إلى السَّمَاء الدُّنْيَا، فَيسأَلُهم رَبُّهُم ـ وَهُوَ أَعْلم ـ: ما يقولُ عِبَادي؟ قال: يَقُولُونَ: يُسبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرونَكَ، ويحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ، فيقولُ: هل رأَوْني؟ فيقولون: لا والله ما رأَوْكَ، فَيَقُولُ: كَيْفَ لو رَأَوْني؟ قال: يقُولُون لو رَأَوْكَ كانُوا أَشَدَّ لك عبادَةً، وأَشَدَّ لكَ تمْجيداً، وأكثرَ لكَ تَسْبيحاً. فَيَقُولُ: فماذا يَسأَلُونَ؟ قال: يَقُولونَ: يسأَلُونَكَ الجنَّةَ. قالَ: يقولُ: وَهل رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ: لا وَالله ياربِّ مَا رأَوْها. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لو رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ: لو أَنَّهُم رأَوْها كَانُوا أَشَدَّ عليْهَا حِرْصاً، وَأَشَدَّ لهَا طَلَباً، وَأَعْظَم فيها رغْبة. قَالَ: فَممَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يقولُون يَتعَوَّذُونَ منَ النَّار، قال: فَيقُولُ: وهَلِ رَأَوْهَا؟ قالَ: يقولونَ: لا والله ما رأَوْهَا. فَيقُولُ: كَيْف لو رَأَوْها؟ قال: يقُولُون: لو رَأَوْهَا كانوا أَشَدَّ منها فِراراً، وأَشَدَّ لها مَخَافَة. قَالَ: فيقولُ: فَأُشْهدُكم أَنِّي قَد غَفَرْتُ لهم، قَالَ: يقُولُ مَلَكٌ منَ الملائكَة: فيهم فُلانٌ لَيْس منهم، إنَّمَا جاءَ لحاجَة، قال: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بهم جليسهُم» [متفقٌ عليه].

وفي رواية لمسلم عنْ أَبي هُريرةَ ـ رضي الله عنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ لله مَلائكَةً سَيَّارةً فُضَلاءَ يتَتَبَّعُونَ مجالس الذِّكر، فإذا وجدُوا مَجلساً فيه ذكْرٌ، قَعَدُوا معهُم، وحفَّ بعْضُهُم بعْضاً بأَجْنحَتهم حتَّى يَمْلأُوا ما بيْنَهُمْ وبَيْنَ السَّماء الدُّنْيَا، فَإذا تَفَرَّقُوا عَرجُوا وصعدوا إلى السَّماء، فيَسْأَلُهُمُ اللهُ ـ عَزَّ وجلَّ ـ وهُوَ أَعْلَمُ: منْ أَيْنَ جئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جئْنَا منْ عند عبادٍ لَكَ في الأَرْض: يُسبحُونَكَ، ويُكَبِّرونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، ويحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قال: وماذا يسْأَلُوني؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جنَّتَكَ. قال: وهَلْ رَأَوْا جنَّتي؟ قالُوا: لا، أَيْ ربِّ: قَال: فكَيْفَ لو رأَوْا جنَّتي؟ قالُوا: ويسْتَجيرُونَكَ قال: ومِمَّ يسْتَجيرُوني؟ قالوا: منْ نَارِكَ ياربِّ. قال: وَهَلْ رَأَوْا ناري؟ قالوا: لا، قال: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَاري؟ قالُوا: ويسْتَغْفرونَكَ، فيقول: قَدْ غفرْتُ لَهُمْ، وأَعطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا، وأَجرْتُهم مِمَّا اسْتَجارُوا. قال: فَيقُولونَ: ربِّ

فيهِمْ فُلانٌ عبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ، فَجلَس معهُمْ، فيقول: ولهُ غفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لا يَشْقى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

❊ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في فضل الذكر.

وأن الله ـ تعالى ـ وكلَّ ملائكته يسبحون في الأرض يطلبون حلق الذكر، والملائكة عالم غيبي فاضل، خلقهم الله ـ عز وجل ـ من النور وجعلهم صمداً لا أجواف لهم، فلا يأكلون ولا يشربون.

قال ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «الملائكة كلهم خير، ولهذا لا يدخلون الأماكن التي فيها ما يغضب الله ـ عز وجل ـ».

«فلا يدخلون بيتاً فيه صورة» تتنزه عن دخول هذه الأماكن التي تقع فيها هذه المعاصي. لحديث: **«لعن الله المصورين»**.

«ولا يصحبون رفقة فيها جرس» «ولا رفقة معهم كلب» إلا الكلب المحلل الذي يجوز اقتناؤه.

هؤلاء الملائكة وكَّلهم الله ـ عز وجل ـ يسبحون في الأرض، فإذا وجدوا حلق الذكر جلسوا معهم، ثم حفوا هؤلاء الجالسين بأجنحتهم إلى السماء، يعني هؤلاء الملائكة من الأرض إلى السماء، ثم أن الله يسألهم ليظهر فضيلة هؤلاء القوم الذين جلسوا يذكرون الله ويسبحونه ويحمدونه ويهللونه ويكبرونه ويدعونه، وإلا فالله أعلم ـ عز وجل ـ لماذا جلسوا، لكن ليظهر فضلهم ونبلهم.

يسأل الملائكة: **«من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحون ويهللون، ويكبرون ويحمدون، ويدعون؛ فيقول لهم: ماذا يريدون؟ قالوا: يريدون الجنة؟»**.

اللهم اجعلنا ممن أرادها وكان من أهلها.

قال: **«رأوها؟ قالوا: لا**.

قال: فكيف لو رأوها؟ قالوا: لكانوا أشد لها طلباً، وأشد فيها رغبة...».

قال الحافظ: «وفي الحديث؛ فضل الذكر والذاكرين والاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل عليهم إكراماً لهم، وإن لم يشاركهم في أصل الذكر»

وفي هذا الحديث: فضل مجالسة الصالحين، وأن الجليس الصالح ربما يعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بجليسه رحمته، وإن لم يكن مثله.

وفيه: استحباب الاجتماع على الذكر وقراءة القرآن والصلاة وطلب العلم.

وفيه: محبة الملائكة للذاكرين من بني آدم واعتناؤهم بهم.

١٤٤٨ـ وعنهُ عنْ أَبي سعيد ـ رضِي الله عنْهُمَا ـ قالا: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يذْكُرُونَ الله إلاَّ حفَّتْهُمُ الملائِكة، وغشِيتهُمُ الرَّحْمةُ ونَزَلَتْ عليْهِمْ السَّكِينَة، وذكَرَهُم الله فِيمن عِنْدَهُ» [رواه مسلم].

❀ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الذكر.

وفي الحديث؛ عن أبي هريرة عن أبي سعيد ـ رضي الله عنهما ـ قالا:

قال رسول الله ﷺ:

«لا يقعد قوم» إن أريد بالقعود ضد القيام ففيه إشارة إلى أنه أحسن هيئات الذكر، لدلالته على جمعية الحواس الظاهرة والباطنة، وإن كان كناية عن الاستمرار، ففيه إيماء إلى مداومة الأذكار.

قال ابن حجر: «التعبير به للغالب كما هو ظاهر؛ لأن المقصود حبس النفس على ذكر الله مع الدخول في عداد الذاكرين لتعود عليه بركة أنفاسهم ولحظ إيناسهم».

فلا ينافيه قيامه لطاعة، كطواف وزيارة، وصلاة جنازة، وطلب علم، وسماع موعظة.

«يذكرون الله» بقراءة ومدارسة القرآن، أو حلق العلم.

«إلا حفتهم الملائكة» أي؛ كانوا حولهم واحاطت بهم إكراماً لهم ورضا بما فعلوا. وهم الملائكة الذين يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر.

«وغشيتهم الرحمة» أي؛ احاطت بهم ونزلت عليهم، وغطتهم من كل جانب، فيكونون أقرب إلى رحمة الله ـ عز وجل ـ.

«ونزلت عليهم السكينة» أي؛ الطمأنينة والوقار.

وقيل: هي ملكة تسكن قلب المؤمن وتؤمنه.

وقيل: هي الحال التي يطمئن بها القلب فيسكن عن الميل إلى الشهوات وعن الرعب، والأصل فيها الوقار.

قال النووي: «قيل: المراد بالسكينة هنا الرحمة، وقيل الطمأنينة والوقار وهو أحسن».

«وذكرهم الله فيمن عنده» أي؛ في الملأ الأعلى من الملائكة المقربين مباهاة وافتخاراً لهم بهم بالثناء الجميل عليهم وبوعد الجزاء الجزيل لهم، كما في الحديث الآخر «وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم».

قال الجزي: «ليس فضل الذكر منحصراً في التهليل والتسبيح والتكبير، بل كل مطيع لله ـ تعالى ـ في عمل، فهو ذاكر، وأفضل الذكر القرآن؛ إلا فيما شرع لغيره. أي: كالركوع والسجود».

ثم قال ـ رحمه الله ـ: «وكل ذكر مشروع، أي مأمور به في الشرع واجباً كان أو مستحباً، لا يعتد بشيء منه حتى يتلفظ به ويسمع به نفسه».

وفي الحديث: فضل الذكر، وبيان شرف الذاكرين عند الله ـ تعالى ـ. وفيه: أن الجزاء من جنس العمل، فمن ذكر الله ذكره.

١٤٤٩ ـ وعن أَبي واقد الحارث بن عَوْف ـ رضيَ الله عنْهُ ـ أَنَّ رسُول الله ﷺ بيْنَما هُو جَالسٌ في المسْجد، والنَّاسُ معهُ، إذ أَقْبلَ ثَلاثَةُ نَفر، فأَقْبَل اثْنَان إلى رسول الله ﷺ وذَهَبَ واحدٌ، فَوقَفَا على رسول الله ﷺ. فَأَمَّا أَحدُهُما فرأَى فُرْجَةً في الحلْقَة، فجَلَسَ فيها وأَمَّا الآخَرُ، فَجَلَس خَلْفَهُمْ، وأَمَّا الثالثُ فَأَدبر ذاهباً. فَلمَّا فَرَغَ رسُول الله ﷺ قال: «**أَلا أُخبرُكم عن النَّفر الثَّلاثَة، أَمَّا أَحدُهم، فَأَوى إلى الله فآواه الله وأَمَّا الآخرُ فَاسْتَحْيي فاستحيي الله مِنْهُ وَأَمَّا الآخرُ، فأَعْرضَ، فأَعْرض الله عنْهُ**» [متفقٌ عليه].

❁ في هذا الحديث؛ عن أبي واقد الحارث بن عوف ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد، والناس معه، إذا أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد.

فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى وأبصر فرجة في الحلقة ـ وهي كل شيء مستدير خالي الوسط ـ فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم. أي؛ خلف الحلقة، وأما الثالث فأدبر ذاهباً.

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال:

«**إلا أخبركم عن النفر الثلاثة**» أي؛ ألا أعلمكم بحالهم. والنفر من اسم جمع يطلق على الرجال من ثلاثة إلى عشرة.

«**أما أحدهم**» أي؛ الأول.

«**فأوى إلى الله**» أي؛ لجأ إلى الله.

«**فأواه الله**» أي؛ فقبله وقربه. وقيل: معناه رحمه. أو آواه إلى جنته. أي كتبها له.

قال القاضي عياض: «أي لجأ إليه، ومعناه عندي هنا: دخل مجلس ذكر أو دخل مكان رسوله ومجمع أوليائه، وانضم إليه لدخول الحلقة، وقربه من نبيه» وفيه استحباب الأدب في مجالس العلم وفضل سد خلل الحلقة».

«وأما الآخر فاستحى» ترك المزاحمة والتخطي حياء من الله ـ تعالى ـ ومن النبي ﷺ والحاضرين أو استحيا منهم أن يعرف ذاهباً كما فعل الثالث.

وذكر الاستحياء والإعراض في هذا الحديث دليل على أن الجزاء من جنس العمل.

قال القرطبي: «كان هذا الثاني متمكناً من المزاحمة، إذ لو شرع فيه، لفسح له؟ لأن التفسح مندوب إليه، لكنه منعه من ذلك الحياء، فجلس خلف الصف، ففاتته فضيلة التقدم، لكن جازاه الله مع استحيايه فأكرمه.

«فاستحيى الله منه» فيه؛ إثبات الحياء لله كما يليق به ـ عز وجل ـ.

«وأما الآخر فأعرض» أي؛ ذهب معرضاً لا لعذر، معرضاً من مجلس العلم.

«فأعرض الله عنه» أي؛ لم يرحمه، وقيل سخط عليه. وهذا محمول على أنه ذهب معرضاً لا لعذر وضرورة.

وفي الحديث: أن مجالس الذكر هي حلقات العلم التي تعقد في بيوت الله للتعلم، وللتعليم، والتفقه في الدين.

وفيه: فضل ملازمة حلق العلم والذكر.

وفيه: ذم الإعراض عن مجلس العلم بغير عذر.

وفيه: استحباب جلوس العالم لأصحابه وغيرهم في موضع بارز ظاهر للناس، والمسجد أفضل فيذاكرهم العلم والخير.

١٤٥٠ ـ وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنْهُ ـ قال: خَرج معاويَة ـ رضي الله عَنْهُ ـ على حَلْقَة في المَسْجد، فقال: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالُوا: جلَسْنَا نَذْكُرُ الله. قَالَ: آلله ما أَجْلَسَكُم إلاَّ ذَاكَ؟ قالوا: ما أَجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ، قال: أَما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لَكُم وما كانَ أَحدٌ بمنْزلَتي مِنْ رسُولِ الله ﷺ أَقلَّ عنْهُ حَديثاً مِنِّي: إنَّ رسُولَ الله ﷺ خرج علَى حَلْقَة من أَصحابه فقال: «ما أَجْلَسَكُمْ؟» قالوا: جلَسْنَا نَذْكُرُ الله، ونحْمدُهُ على ماهَدَانَا للإسْلام، ومنَّ به علينا. قَال: «آلله ما أَجْلَسكُمْ إلاَّ ذَاكَ؟» قالوا: والله ما أَجْلَسنا إلاَّ ذَاكَ. قالَ: «أَما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تهمةً لكُمْ، ولِكنَّهُ أَتاني جبريلُ فَأَخْبرني أَنَّ الله يُباهِي بِكُمُ الملائكَةَ» [رواهُ مسلمٌ].

هذا الحديث امتداد؛ لأحاديث ذكرها المؤلف في فضل الذكر.

فإن خير المجالس وأزكاها، وأشرفها وأعلاها قدراً عند الله، وأجلها مكانة عنده مجالس الذكر؛ فهي حياة القلوب، ونماء الإيمان، وزكاء النفس، وسبيل السعادة والفلاح في الدارين.

وفي الحديث؛ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: خرج معاوية ـ رضي الله عنه ـ على حلقة في المسجد.

فقال لهم معاوية، ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله.

قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ أي؛ ما أجلسكم إلا الذكر؟

قالوا: ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي وقربي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني؛ وذلك القرب لكونه أخته أم حبيبة أم المؤمنين.

إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال ﷺ:

«ما أجلسكم» لكونهم كانوا في زمن لا يؤلف منهم الجلوس فيه في المسجد.

قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا.

قال: «آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟».

قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: «أما إني لم استحلفكم تهمة لكم» أي؛ شكاً في صدقكم.

«ولكنه أتاني جبريل» أي؛ جاءني جبريل ـ عليه السلام ـ.

«فأخبرني أن الله يباهي بكم ملائكته» أي؛ يفاخر ويعاظم.

قال الحميدي: «المباهاة: المفاخرة، وهي من الله ثناء وتفضيل»

قال النووي: «معناه يظهر فضلكم لهم، ويريهم حسن عملكم ويثنى عليكم عندهم؛ وأصل البهاء الحسن والجمال، وفلان يباهي بماله، أي يفتخر ويتجمل بهم على غيرهم ويظهر حسنهم».

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «إن الله ـ عز وجل ـ يباهي بالذاكرين ملائكته، وهذه المباهاة من الرب ـ تبارك وتعالى ـ دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له، وأن له مزية على غيره من الأعمال».

وفي الحديث: فضل مجالس الذكر وكرامة الذاكرين على الله ـ تعالى ـ.

وفيه: حرص الصحابة على الاقتداء برسول الله ﷺ.

وفيه: جواز الاستحلاف من غير تهمة للتنبيه على أهمية المسؤول عنه أو الخير الذي سيلقي على السامع.

٢٤٨ ـ باب الذكر عند الصباح والمساء

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب الذكر عند الصباح والمساء.

قيل الصباح: من نصف الليل إلى الزوال، والمساء منه إلى نصف الليل.

وأما الصباح شرعاً فمن طلوع الفجر الصادق إلى طلوع الشمس، ثم الضحى، فالاستواء، فالزوال منه المساء.

قال ابن عثيمين: «باب الذكر في الصباح والمساء يعني فضيلته في الصباح والمساء، يعني أول النهار وآخر النهار وأول الليل.

ويدخل الصباح من طلوع الفجر، وينتهي بارتفاع الشمس ضحى، ويدخل المساء من صلاة العصر وينتهي بصلاة العشاء أو قريباً منها».

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ أي؛ تذللاً وخضوعاً.

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ قال ابن عطية: «معناه دأباً في كل وقت وفي أطراف النهار».

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ عن ذكر الله.

قال مجاهد: «أمر أن يذكروه في الصدور، والتضرع إليه في الدعاء، والاستكانة دون رفع الصوت، والصياح بالدعاء».

قال أهل اللغة: الآصال جمع أصيل وهو: ما بين العصر والمغرب.

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]. قيل: المراد من التسبيح الصلاة. أي؛ صلاة الصبح، وصلاة العصر، وقيل على ظاهره.

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر: ٥٥].

قال أهل اللغة: العشي: ما بين زوال الشمس وغروبها. أي في أواخر النهار وأوائل الليل. والإبكار، هو أوائل النهار، وأواخر الليل.

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧] الآية. أي؛ أمر ـ عز وجل ـ أن تعظم المساجد ويرفع قدرها وتظهر من الدنس واللغو وكل ما لا يليق، ثم أثنى على رجال فيها يسبحونه لا تلهيهم تجارة معاملة رابحة، ولا بيع عن ذكر الله.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: ١٨]. أي؛ سخرنا مع داود ـ عليه السلام ـ مسبحات معه، بالعشي والإشراق، أي؛ وقت إشراق الشمس وهو وقت الضحى وحكمه تخصيص أول النهار وآخره بالذكر ليكون البدء والختم بطاعة، فيكون كفارة لما يكون في باقي النهار.

١٤٥١ ـ وعَنْ أَبي هريرة ـ رضي الله عنهُ ـ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قال حِينَ يُصْبِحُ وحينَ يُمسِي: سُبْحانَ الله وبحمده مائةَ مَرةٍ لَم يأْتِ أَحدٌ يوْم القِيامة بأَفضَلِ مِما جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحدٌ قال مِثلَ مَا قال أَوْ زَادَ» [رواهُ مسلم].

※ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث؛ في باب الذكر عند الصباح والمساء.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قال حين يصبح» أي؛ يدخل الصباح الشرعي.

«وحين يمسي» أي؛ يدخل في المساء.

«سبحان الله وبحمده» معنى التسبيح: التنزيه عما لا يليق به ـ سبحانه وتعالى ـ من الشريك والولد والصاحبة والنقائص مطلقاً.

وأما تحميد الله؛ فهذا الثناء عليه ووصفه بصفات الكمال العظيم.

ويعد قوله: «سبحان الله وبحمده» من أجمع ألفاظ الذكر؛ لاشتماله على معاني التنزيه والتهليل، والتحميد والتكبير.

قال ابن حجر: «ويمكن أن يكون قوله: «سبحان الله وبحمده» مختصراً من الكلمات الأربع وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ لأن «سبحان الله» تنزيه له عما لا يليق بجلاله وتقديس لصفاته من النقائص، فيندرج معنى لا إله إلا الله، وقوله: «وبحمده» صريح في معنى والحمد لله؛ لأن الإضافة فيه بمعنى اللام في الحمد ويستلزم ذلك معنى، الله أكبر؛ لأنه إذا كان الفضل والإفضال لله ومن الله وليس من غيره شيء من ذلك فلا يكون أحد أكبر منه».

«مائة مرة» أي؛ يكرر قولها مائة مرة.

«لم يأت أحد يوم القيامة» أي؛ لم يجئ أحد يوم القيامة.

«بأفضل مما جاء به» أي؛ من ألفاظ الأذكار المأثورة.

«**إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد**» أي؛ قال مثل قوله أو مثل ما قاله، أو زاد عليه.

وهذا الذكر مطلق، وعدد مئة ليس قيداً، لقوله ﷺ: «**أو زاد**».

قال ابن علان: «إيماء إلى أن الاستكثار من هذا محبوب إلى الله ـ تعالى ـ، وأنه ليس له حد لا يتجاوز عنه».

قيل: إن حكمة تخصيص الصباح والمساء بالذكر؛ ليكون البدء والختم بالطاعة فيكون كفارة لما يكون في باقي النهار.

قال ابن عثيمين: «فينبغي للإنسان إذا أصبح أن يقول: سبحان الله وبحمده مائة مرة، وإذا أمسى أن يقول: سبحان الله وبحمده مائة مرة، وذلك ليحوز هذا الفضل الذي ذكره النبي ﷺ».

قال ابن القيم: «الذكر هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يُغلقه العبد بغفلته».

قال الكرجي عند قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥] قال: «كلما أكثر المرء ذكر الله، كان أزيد لفلاحه، وأجدر لنجاحه، وأقرب إلى النجاة من عذاب ربه».

وفي الحديث: أن الاستكثار من هذا الذكر محبوب إلى الله ـ تعالى ـ.

وفيه: أن ذكر الله ذخر للعبد يوم القيامة.

١٤٥٢ ـ وعَنهُ قال: جاءَ رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسُول الله ما لَقِيتُ منْ عَقْرب لَدغَتني البارِحةَ، قال: «أما لَو قُلتَ حِينَ أمْسيت: أعُوذُ بِكَلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ منْ شَرِّ ما خَلَقَ لم تَضُرَّك» [رواه مسلم].

❊ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ، يذكر الأحاديث في باب الذكر عند الصباح والمساء.

والالتجاء إلى الله ـ تعالى ـ، والوقاية من كل سوء وشر وأذى من أعظم العبادات، وأفضل الطاعات، فالله ـ عز وجل ـ يحب المستغيثين به الملتجئين إليه، المستعيذين بعظمته وقدرته.

وفي الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله ما لقيت) أي شيء عظيم لقيته من عقرب لدغتني البارحة ـ أي الليلة الماضية ـ، وفي كلامه الإيماء إلى عظيم ما أصابه من الألم والوصب. قال ﷺ معلماً وموجهاً:

«**أما**» أداة استفتاح؛ إنك.

«**لو قلت حين أمسيت**» أي؛ دخلت في المساء.

«**أعوذ**» أي؛ اعتصم وألتجئ.

«**بكلمات الله**» أي؛ بأقضيته وشئونه.

«**التامات**» لتنزهها عن كل نقص وعيب.

قال الزرقاني: «الكلمات: الأسماء الحسنى والصفات العلى وبالكتب المنزلة من عند الله».

«**من شر ما خلق**» عام يدخل فيه سائر المؤذيات من الخلق، ومنه الهوى والشهوات؛ وهذا لجوء إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ واعتصام به من شر ما خلق.

وفي قوله: «من» لأن ليس جميع المخلوقات فيها شر فالملائكة والأنبياء والجنة لا شر فيهم.

«لم تضرك» أي؛ تُصب بسوء.

قال المناوي: «ويحصل ذلك لكل داع بقلب حاضر وتوجه تام ولا يختص بمجاب الدعوة».

قال القرطبي: «منذ سمعت هذه الخبر عملت عليه، فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب ليلاً، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات».

قال ابن القيم: «فمن التعوذات والرقى، الإكثار من قراءة المعوذتين، وفاتحة الكتاب وآية الكرسي، ومنها التعوذات النبوية نحو: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ونحو: أعوذ بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، وأعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ، وحسبي الله ونعم الوكيل عليه توكلت وهو رب العرش العظيم؛ ومن جرب هذه الدعوات والعوذ عرف مقدار منعتهما وشدة الحاجة إليها».

وفي الحديث: أن هذا الذكر حصن للعبد من شر المخلوقات وسائر المؤذيات.

وفيه: استحباب الاستعاذة بالله من شر المؤذيات، وحفظ الله لمن استعاذه.

وفيه: بركة هذا الدعاء والالتجاء والتحصن بالله العظيم.

١٤٥٣ ـ وعنْــهُ عـن النبيِّ ﷺ أنَّـــه كـان يقـول إذَا أَصْبَـحَ: «اللهمَّ بكَ أَصْبحْنَا وبـكَ أَمسَـيْنَا وبـكَ نَحْيـا، وبـكَ نَمُوتُ، وَإلَيْكَ النُّشُـورُ» وإذا أَمْسى قال: «اللهمَّ بِكَ أَمْسَـيْنَا، وبِكَ نَحْيا، وبِك نمُوتُ وإلَيْكَ المَصِير» [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن].

❋ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الذكر عند الصباح والمساء.

وفي الحديث؛ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول إذا أصبح:

«**اللهـم بك أصبحنا**» أي؛ بقدرتك وبنعمتك وإعانتك وحفظك دخلنا في الصباح.

«والباء» متعلق بمحذوف وهو خبر «أصبح» أي؛ أصبحنا متلبيسن بنعمتك وبحياطتك وكلاءتك وحفظك، أو بذكرك واسمك.

«**وبك أمسينا**» أي؛ بقدرتك وحفظك وإعانتك دخلنا في المساء.

«**وبـك نحيا وبك نموت**» أي؛ بذكرك يقظتـي ونومي، وأنت تحيينا وأنت تميتنا، والإنسـان عندما يأخذه النوم وعندما يسـتيقظ، أول ما يجري على قلبه ولسانه ذكر محبوبه.

ويحتمل أن يكون المراد الدوام والاسـتمرار في جميع الأوقات وسـائر الأحوال؛ أي؛ بذكرك نحيا ما حيينا، ونموت إذا حان وقت الموت والارتحال عن هذه الدار.

ومعنى الحال: أي؛ مسـتجيرين ومسـتعيذين بك في جميع الأوقات، وسـائر الأحوال، في الإصباح والإمساء والمحيا والممات. فإنما نحن بك، أنت المعين وحدك، وأزمة الأمور كلها بيدك، ولا غنى لنا عنك طرفة عين، وفي هذا من الاعتماد على الله واللجوء إليه والاعتراف بمنه وفضله ما يحقق للمرء إيمانه ويقوي يقينه ويعظم صلته بربه.

«وإليك النشور» أي؛ الرجوع والإحياء للبعث يوم القيامة.

قال ابن الأثير: «يقال: نشر الميت ينشر نشوراً، إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله؛ أي؛ أحياه».

«وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا» أي؛ بقدرتك وحفظك، ونعمتك دخلنا في المساء.

«وبك نحيا وبك نموت» لأن النوم الموتة الصغرى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]. أي؛ حالنا مستمر على هذا في جميع الأوقات وسائر الأحوال. فإنما نحن بك أنت المعين وحدك، لا غنى لنا عنك طرفة عين.

«وإليك المصير» أي؛ إليك المرجع والمآب.

وإنما قال في الإصباح: «وإليك النشور» وفي الإمساء: «وإليك المصير»؛ لأن الإصباح يشبه النشر بعد الموت، والإمساء يشبه الموت بعد الحياة؛ فلذلك قال فيما يشبه الحياة: «وإليك النشور» وفيما يشبه الممات: «وإليك المصير» رعاية للتناسب والتشاكل.

وفي الحديث: أن المرجع والمآب إلى الله ـ عز وجل ـ، وعلى العبد ذكر الله في كل أحواله وأوقاته وأزمانه.

وفيه: الحث على هذا الذكر في الصباح والمساء.

١٤٥٤ ـ وعنهُ أَنَّ أَبا بَكرٍ الصِّدِّيقَ، ـ رضيَ الله عنه ـ، قال: يَا رَسُولَ الله مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وإِذَا أَمْسَيتُ، قال: «قُلْ: اللهمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادةِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيكَهُ. أَشْهَدُ أَن لاَ إِلَه إِلاَّ أَنتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفسي وشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِه» قال: «قُلْها إِذا أَصْبحْتَ، وَإِذا أَمْسَيْتَ، وإِذا أَخذْتَ مَضْجِعَكَ» [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ].

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من الأحاديث في باب الذكر عند الصباح والمساء.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنا أبا بكر الصديق قال: (يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت) مدلولها: فأداوم عليها في الوقتين اللذين هما أشرف الأوقات.

قال ﷺ:

«قل اللهم فاطر السموات والأرض» أي؛ يا الله؛ يا خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق. بدأ هذا الدعاء بتوسلات عظيمة إلى الله ـ عز وجل ـ وجملة من صفاته الكريمة الدالة على عظمته وكماله.

«عالم الغيب والشهادة» أي؛ ما غاب من الخلق وما يشاهد فلا يعزب عن علمه شيء.

«رب» أي؛ مالك وخالق، ومربي ومصلح.

«كل شيء» من المكونات.

«ومليكه» أي؛ مالكه. والفرق بين الرب وبين المالك في هذا الحديث أن الرب: هو الخالق للأشياء، والمليك: هو يتصرف فيها كيف يشاء.

«أشهد» أي؛ أعلم وأبين وأصدق.

«أن لا إله إلا أنت» أي؛ مستغنياً عن كل ما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه. إلا أنت سبحانك معترفاً بلساني وقلبي. أن لا معبود حق إلا أنت، فكل

ما عبد من دون الله فإنه باطل لا حق له في العبودية، ولا حق في العبودية إلا لله وحده ـ عز وجل ـ.

«أعوذ بك من شر نفسي» لأن للنفس شرور؛ فأسألك العصمة من ذلك.

«وشر الشيطان» أي؛ وسواسه وتسويله.

«وشركه» أي؛ ما يدعو من الإشراك بالله ـ تعالى ـ. أو ما يفتن به الناس من حبائله.

وزاد الترمذي من طريق آخر: «وأن نقترف على أنفسنا سوءً أو نجره إلى مسلم».

قال ابن القيم: «ذكر رسول الله ﷺ مصدري الشر؛ وهما النفس والشيطان، ونهايتهما: عوده على النفس أو على أخيه المسلم».

قال ﷺ:

«قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت» أي؛ في وقت الصباح والمساء.

«وإذا أخذت مضجعك» أي؛ مكان اضطجاعك، وهذا مزيد على ما سأل لزيادة الفائدة.

وفي الحديث: فضل الذكر في الصباح والمساء واللذين هما أشرف الأوقات.

وفيه: حرص الصحابة وخاصة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ على الخير والاستزادة منه.

١٤٥٥ ـ وعَن ابْن مَسْعُود ـ رضي الله عنهُ ـ قالَ: كانَ نبيُّ الله ﷺ إذَا أَمسى قال: «أَمْسَيْنَا وأَمْسى المُلْكُ لله، والحَمْدُ لله، لاَ إلهَ إلاَّ الله وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه» قالَ الرواي: أَرَاهُ قال فيهنَّ: «لهُ المُلْكُ ولَه الحَمْدُ وهُوَ عَلى كلِّ شَيءٍ قديرٌ، ربِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا في هذه اللَّيلَة، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وأَعُوذُ بكَ منْ شَرِّ مَا في هذه اللَّيْلَة وشَرِّ ما بعْدَهَا، ربِّ أَعُوذُ بكَ من الكَسَلِ، وَسُوءِ الكِبْر، أعوذُ بكَ منْ عذَابٍ في النَّار، وَعَذَابٍ في القبر» وَإِذَا أَصْبحَ قال ذلك أَيْضاً: «أَصْبحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لله» [رواه مسلم].

❊ في هذا الحديث؛ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ إذا أمسى قال:

«أمسينا» أي؛ دخلنا في المساء.

«وأمسى الملك لله» أي؛ استمر دوام الملك والتصرف لله ـ تعالى ـ.

«والحمد لله» عطف على قوله «أمسينا وأمسى الملك لله» إذا دخل في المساء، أي؛ إذا دخلنا في المساء وصرنا نحن وجميع الملك؛ وجميع الحمد لله.

«لا إله إلا الله وحده» أي؛ منفرداً لا نظير له في ذاته.

«لا شريك له» في صفة من صفاته، ولا في فعل من أفعاله، ولا في ملك شيء من مملوكاته.

والمعنى: عرفنا أن الملك والحمد لله لا لغيره فالتجأنا إليه، واستعنا به، وخصصناه بالعبادة، والثناء عليه والشكر له. ثم طلب استمرار ذلك بدخوله في الليل واستعاذ مما يمنعه مما كان فيه في اليوم قائلاً: «أسألك خير هذه الليلة» أي؛ خير ما شاء فيها. من خيرات الدنيا والآخرة؛ أما خيرات الدنيا فهي حصول النعم والأمن والسلامة من طوارق الليل وحوادثه ونحوها، وأما خيرات الآخرة فهي حصول التوفيق لإحياء اليوم والليلة؛ بالصلاة والتسبيح وقراءة القرآن ونحو ذلك.

قال الراوي: أراه قال فيهن: أي معهن.

«**له الملك**» هو الملك المطلق في الدنيا والآخرة. وخص ـ سبحانه ـ نفسه بملك يوم الدين لأنه ينتفي آنذاك كل ملك.

«**وله الحمد**» أي؛ الحمد المطلق لله ـ تبارك وتعالى ـ.

«**وهو على كل شيء قدير**» أي؛ لا يعجزه شيء ولا يعجز عن شيء.

«**رب اسألك خير ما في هذه الليلة**» أي؛ خير وما ينشأ فيها وخير ما سكن فيها؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [الأنعام: ١٣].

«**وخير ما بعدها**» دفع لتوهم اختصاص خير تلك الليلة بالسؤال دون خير ما وراءها. وقيد الخير؛ لأنه مقصود بالذات مطلوب بالأصالة، والشر إنما هو عرض لا تلتفت النفس إليه إلا لطلب دفعه ورفعه.

«**وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة**» أي؛ اعتصم بك من شر ما أردت الوقوع فيه من الشرور الظاهرة والباطنة.

«**وشر ما بعدها**» من الليالي وغيرها.

«**رب أعوذ بك من الكسل**» وهو التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير مع ظهور الاستطاعة والقدرة.

«**وسوء الكبر**» المرض والهرم الذي يؤدي إلى تهاون الأعضاء وتساقط القوى، وإنما استعاذ منه؛ لكونه من الأدواء التي لا دواء لها.

والمراد بسوء الكبر؛ ما يورثه كبر السن من ذهاب العقل وغير ذلك مما يسوء به الحال الذي يصير فيه كالحلس الملقى على الأرض، لا يصدر منه شيء من الخيرات.

قال القرطبي: «يمكن أن يراد بالفقرات كلها معنى الترقي، استعاذ أولاً من الكسل. أي: أعوذ بك أن أتثاقل في الطاعة مع استطاعتي، وثم الهرم الذي فيه سقوط بعض الاستطاعة، فيقوم ببعض وظائف الطاعات، ثم من:

«أعوذ بك من عذاب في النار» أي؛ في نار جهنم والعياذ بالله منها.

«وعذاب في القبر» أي؛ مدة المقام في البرزخ.

وإنما خص عذابي النار والقبر من بين سائر أعذبة يوم القيامة لشدتهما، وعظم شأنهما؛ أما القبر: فلأنه أول منزل من منازل الآخرة؛ فإن من سلم فيه سلم في الجميع. وأما النار فإن عذابها شديد، نعوذ بالله من ذلك.

وإذا أصبح قال ذلك أيضاً:

«أصبحنا وأصبح الملك لله» أي؛ أن له قول أمسينا وأمسى الملك بقوله: «أصبحنا وأصبح الملك لله» والباقي سواء.

وفي الحديث: استحباب المواظبة على هذه الأذكار في الصباح والمساء وعند النوم واليقظة.

وفيه: الالتجاء إلى الله ـ عز وجل ـ بالقلب توكيلاً، واللسان دعاءً وذكراً، وأنه وحده لا شريك له في ملكه وفي ألوهيته وربوبيته.

وفيه: أن الكسل والكبر آفات تقعد العبد عن الطاعة والذكر والشكر، فينبغي أن يستعيذ بالله منها؛ ليبقى معافى يتقلب في نعمة الطاعة وراحة العبادة.

وفيه: إثبات عذاب القبر.

١٤٥٦ ـ وعن عبد الله بن خُبَيْب بضَمِّ الْخَاء الْمُعْجَمَة ـ رضي الله عَنْهُ ـ قال: قال لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرأْ: (قُلْ هوَ الله أَحَدٌ) والمعوِّذَتَيْن حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصبِحُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كلِّ شَيْءٍ». [رواهُ أَبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسن صحيح].

❋ هذا الحديث؛ أورده المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب الذكر عند الصباح والمساء.

فإن الذكر يورث ذكر الله ـ تعالى ـ، كما قال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] ولو لم يكن في الذكر إلا هذا المنقبة لكفى بها فضلاً وشرفاً.

وفيه؛ عن عبد الله بن خبيب الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ قال:

قال لي رسول الله ﷺ: اللام فيه للتبليغ.

«إقرأ (قل هو الله أحد)» وهي سورة الإخلاص، التي أخلصها الله ـ تعالى ـ لنفسه فلم يذكر فيها شيئاً إلا ما يتعلق بنفسه ـ جل وعلا ـ؛ ثم إن الذي يقرأها يكمل إخلاصه لله ـ تعالى ـ؛ فهي مُخلِصة ومخُلَصة تخلص قارئها من الشرك.

وقد بين النبي ﷺ «أنها تعدل ثلث القرآن» ولكنها لا تجزئ عنه.

وهذه السورة الكريمة مؤلفة من أربع آيات، وقد جاءت في غاية الإيجاز والإعجاز، وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله ـ عز وجل ـ عن صفات العجز والنقص.

وفي السورة ثلاثة أسماء من أسماء الله: الله، الأحد، الصمد.

«والمعوذتين» سورتي الفلق والناس. وقد نزلتا على النبي ﷺ حين سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، فأنزل الله هاتين السورتين، فرقاه بهما جبريل ـ عليه السلام ـ، فحل الله عنه السحر.

قال ﷺ «ما تعوذ متعوذ بمثلهما».

وقد جاءت الاستعاذة في هاتين السورتين باسم الرب والملك والإله، وجاءت الربوبية فيها مضافة إلى الخلق وإلى الناس، ولا بد من أن يكون ما وصف به نفسه في هاتين السورتين يناسب الاستعاذة المطلوبة، ويقتضي دفع الشر المستعاذ منه أعظم مناسبة وأبينها.

«حين تمسي وحين تصبح» أي؛ في المساء، وفي الصباح.

«ثلاث مرات» أي؛ تقولها وتكررها ثلاث مرات.

«تكفيك من كل شيء» أي؛ تدفع عنك كل شيء، ويحتمل أن يكون معناها؛ تغنيك عما سواها.

قال الطيبي: «أي؛ تدفع عنك كل سوء».

وقد كان النبي ﷺ يقرؤها إذا أخذ مضجعه، ويمسح بها من جسمه ما وصلت إليه يداه.

وفي الحديث: فضل سورة الإخلاص والفلق والناس، واستحباب قراءتهم في الصباح والمساء ثلاث مرات.

وفيه: أن من استعاذ بالله والتجأ إليه كفاه وحماه.

١٤٥٧ ـ وعنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ـ رضيَ الله عنهُ ـ قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ في صَبَاحِ كلِّ يَوْمٍ ومَسَاءِ كلِّ لَيْلَةَ: بِسْمِ الله الَّذي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثلاثَ مَرَّاتٍ، إلاَّ لَمْ يَضُرَّهُ شَيءٌ» [رواه أبو داود، والتِّرمذي وقال: حديث حسن صحيح].

❊ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب الذكر عند الصباح والمساء.

وفي هذا الحديث؛ قوله ﷺ:

«ما من عبد» مسلم؛ ذكر أو أنثى.

«يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة» أي؛ في الصباح والمساء.

«بسم الله» أي؛ باسم الله استعيذ واحتمي، واتحصن باسمه العزيز الذي يحتمى به من كل سوء، من جماد أو دابة، أو جن أو شيطان، أو حيوان عاقل أو غير عاقل، فهو العليم بأحوال الكائنات. القدير على تصريفها حيث يشاء فلا يقع منها شيء إلا بقدر أزلي.

«الذي لا يضر مع اسمه شيء» أي؛ مع مصاحبة اسمه العظيم؛ مع اعتقادٍ حسن، ونيه خالصة.

«في الأرض ولا في السماء» أي؛ ولا يضر مع اسمه شيء في السماء؛ يعني: كما أن أهل الأرض في الأمن والسلامة ببركة اسم الله ـ تعالى ـ ومصاحبته، كذلك أهل السماء، والذي يصحب اسم الله ويلازمه، لا يضره شيء؛ أو معناه، الذي لا يضر مع اسمه شيء من جهة الأرض ولا من جهة السماء.

«وهو السميع العليم» أي؛ السميع بكل المسموعات، والعليم بكل شيء.

«السميع» بأقوال العباد، «العليم» بأحوالهم وأفعالهم.

«ثلاث مرات» أي؛ يكررها ثلاث مرات.

«إلا لم يضره شيء» الضر ضد النفع. أي؛ لم يصبه ضر.

وقد تصيبه الآفة؛ لكنها لا تضره، وقد جرى لغير واحد أن لدغته عقرب، فلم يضره.

روى أن أبان بن عثمان راوي الحديث، عن أبيه، كان قد أصابه طرف فالج، فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال له ابان: مالك تنظر إلي؟ فوالله ما كذبت على عثمان، ولا كذب عثمان على النبي ﷺ، لكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني غضبت فنسيت أن أقولها؛ وكني لم أقله يومئذ ليمضى الله عليَّ قدره.

وقال القرطبي: «هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا دليله دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعته عملت به فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمدينة ليلاً، فتفكرت فإذا أنا قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات».

ولا يقال: كثيراً ما نقول ذلك في الصباح والمساء وتصيبنا أنواع البلايا في الدين والبدن؛ لأنا نقول: المراد بهذا القول التام دون غيره.

قال ابن عثيمين: «أذكار الصباح والمساء أشد من سور يأجوج ومأجوج في التحصن لمن قالها بحضور قلب».

وفي الحديث: تأكيد الإتيان بهذا الذكر، ليتقي الإنسان بقدره الله ـ تعالى ـ من جميع البأس والضرر.

وفيه: الاعتماد على الله ـ تعالى ـ وحده في طلب النجاة والسلامة والعافية من جميع النوائب والمصائب والنوازل؛ فإنه ـ سبحانه ـ هو الواقي والحافظ للإنسان، وبقدرته يصرف كل أذى وبلاء.

وفيه: أن الدعاء يرد القضاء.

وفيه: قوة يقين السلف الأول على الله، وتصديقهم الجازم بما أخبر به رسول الله ﷺ.

٢٤٩ ـ باب ما يقوله عند النوم

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الباب باب ما يقول الإنسان من الذكر عند إرادة النوم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١] الآيات.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي؛ إن في خلق السموات والأرض على ما بهما من إحكام وإبداع وعلى غير مثال سابق.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي؛ في تعاقب الليل والنهار على الدوام، واختلافهما طولاً وقصراً.

﴿لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠﴾ أي؛ دلالات عظيمة باهرة وبراهين عظيمة باهرة على الصانع وباهر حكمته، وعلى عظم ذي الجلال واتصافه بكل كمال؛ ومنه التنزه عن النقص.

﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠﴾ أي؛ أهل العقول النيرة الذين ينظرون إلى ملكوت السموات والأرض بتفكر واستدلال على الخالق العظيم.

ثم مدحهم ووصفهم بصفات عظيمة:

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي؛ يذكرون الله في جميع أحوالهم بألسنتهم وقلوبهم في حال القيام والقعود، والاضطجاع، فلا يغفلون عنه ـ تعالى ـ في عامة أوقاتهم، لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي؛ ويتدبرون في ملكوت السموات والأرض، في خلقهما بهذه الأجرام العظام وما فيهما من

عجائب المصنوعات وغرائب المبتدعات؛ قائلين:

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ أي؛ ما أوجدت هذا الكون وما فيه عبثاً من غير حكمة.

﴿سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ أي؛ ننزهك يا الله عن العبث وعما لا يليق بك؛ فأجرنا وأرحمنا من عذاب جهنم.

ويتضمن ذلك سؤال الله الجنة، ولأنهم إذا وقاهم ـ سبحانه ـ عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم دعوا الله بأهم الأمور وأعظمها عندهم.

١٤٥٨ ـ وعنْ حُذيفةَ وأَبي ذرّ ـ رضي الله عنْهما ـ أَنَّ رسُـول الله ﷺ كانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قالَ: «**باسْمِكَ اللهمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ**» [رواه البخاري].

❋ النـوم آية من آيات الله العظيمة الدالة علـى كمال قدرته ورحمته وحكمتـه، قـال تعالـى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٣].

وهـو نعمة من نعم الله على الإنسـان الذي يكدح طولـه يومه؛ لأنه يسـتريح فيه من تعب سابق، وينشـط فيه لعمل لاحق، فهو ينفع الإنسان فيما مضى وفيما يسـتقبل، وهو من كمـال الحياة الدنيا؛ وذلك لأن الدنيا ناقصة فتكمل بالنوم لأجل الراحة.

وفـي النوم دلالة على البعث والنشـور: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢].

ولا يـزال المؤلف ـ رحمه الله ـ يـورد الأحاديث الخاصة بآداب وأذكار النوم. وفي هذا الحديث عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال:

(كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل) أي؛ أراد النوم فيه.

(وضـع يده تحت خده) اليمنى، وإنما كان يختار الأيمن؛ لأنه كان يحب التيمن في شـأنه كله، وليُعلِّم أمتـه، ولأن النوم أخو الموت، وهذه الهيئة عند النزع، وفي القبر حال الوضع، وهي الأفضل في هيئة الصلاة للعاجز عن الصلاة قاعداً.

قال ابن عثيمين: «ينام على شقه الأيمن هذا هو الأفضل سواء كانت القبلة خلفـك، أو أمامك، أو عن يمينك، أو عن شـمالك، النوم على الأيمن هو المهم».

(ثم يقول) أي؛ بعد ذلك:

«اللهم باسمك أموت وأحيا» أي؛ أنت تحييني وتميتني، وقيل: على ذكر اسمك أموت.

قال القرطبي: «فيه دلالة على أن الاسم المسمى: أي؛ أنت تحييني وتميتني، فأموت راجياً بقدرتك».

(وإذا استيقظ) من نومه ﷺ. قال:

«الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا» أي؛ أيقظنا بعد منامنا، وفي التعبير بالإحياء والإماته هنا استعارة تبعيه. قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وهذه الوفاة الكبرى ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ يتوفاها في منامها ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ وهي الأولى ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وهي النائمة، يعني يطلقها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت معلوم عنده ـ جل وعلا ـ.

قال الطيبي: «لما كان الانتفاع بالحياة بتحري رضا الله ـ تعالى ـ بأعمال البر فيها، والنائم لاحظ له من هذا الانتفاع كان كالميت، فكان الحمد شكر لنيل هذه النعمة، وزوال تلك الفترة، وبه ينتظم مع قوله:

«وإليه النشور» والنشور؛ هو الإحياء للبعث يوم القيامة.

فنبه ﷺ بإعادة اليقظة بعد النوم الذي هو كالموت على إثبات البعث بعد الموت.

أي؛ المرجع إليه ـ تعالى ـ في نيل ثواب ما اكتسبه في الحياة. والمعنى؛ أن ذلك منه ـ تعالى ـ لا مدخل لغيره فيه.

قال العلماء: «وحكمة الدعاء عند إرادة النوم أن تكون خاتمة أعماله كما سبق، وحكمته إذا أصبح أن يكون أو عمله بذكر التوحيد والكلم الطيب».

وفي الحديث: يندب أن يكون المسلم مستحضراً للموت في كل حال.

ومن السنة؛ الاضطجاع على الشق اليمين؛ لأنه أسرع في الانتباه؛ وأن يضع يده اليمنى تحت خده الأيمن.

١٤٥٩ ـ وعَنْ عليٍّ ـ رضي الله عَنْهُ ـ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ له وَلفَاطمةَ ـ رضـيَ الله عنهما ـ: «إذَا أَوَيْتُمَا إلى فراشِكُما ـ، أَوْ إذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُما ـ فَكَبِّرا ثَلاثاً وَثَلاثين، وَسَبِّحَا ثَلاثاً وثَلاثينَ، وَاحْمَدَا ثَلاثاً وَثَلاثِين» وفي روايةٍ: «التَّسْبِيحُ أَرْبعاً وَثَلاثِينَ» وفي روايةٍ: «التَّكبيرُ أربعاً وَثَلاثِينَ» [متفقٌ عليه].

❊ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر جملة من الأحاديث في باب ما يقوله الإنسان من الذكر عند النوم.

وأول هـذا الحديث؛ أن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ اشـتكت إلى النبي ﷺ مـا تجده مـن الرحى ـ وهي أداة لطحن الحب وبلغها أنه جاءه رقيق ـ فلم تصادفه ﷺ فذكرت ذلك لعائشة، وطلبت خادماً يعينها ويكفيها المشقة والتعب؛ فلما جاء أخبرته عائشة بطلب فاطمة ـ رضي الله عنهما ـ.

فقال ﷺ: «ألا أدلكما على ما هو خير من الخادم؟» ثم ذكر الحديث.

«إذا أويتما إلى فراشكما» أي؛ اتجهتما إلى الفراش لإرادة النوم.

«أو» شك من الراوي.

«إذا أخذتما مضاجعكما» جمع مضجع، وهو مكان الاضطجاع والرقود.

«فكبرا ثلاثاً وثلاثين» أي؛ قول: الله أكبر، ثلاثاً وثلاثين مرة.

«وسبحا ثلاثاً وثلاثين» أي؛ قول: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة.

«واحمدا ثلاثاً وثلاثين» أي؛ قول: الحمد لله، ثلاثاً وثلاثين مرة.

وفي رواية:

«التسبيح أربعاً وثلاثين» أي؛ قول سبحان الله، أربعاً وثلاثين مرة.

وفي رواية:

«التكبير أربعاً وثلاثين» أي قول: الله أكبر أربعاً وثلاثين مرة.

قـال ابن تيمية: «بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه، من شغل ونحوه».

وقال ابن حجر: «ولا يتعين رفع التعب، بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل، ولا يشق عليه، ولو حصل له التعب والله أعلم».

وفي الحديث: الحث على ذكر الله ـ تعالى ـ بهذه الصيغ، والمداومة على ذلك قبل النوم، وفي حال الاضطجاع.

وفيه: دلالة على مكانة أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ من الرسول ﷺ ومحبته إياها، حيث خصتها فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بالسفارة بينها وبين أبيها دون سائر الأزواج.

وفيه: إظهار غاية التعطف والشفقة على ابنته وصهره.

وفيه: الحرص على الآخرة وما يقرب إلى الله ـ عز وجل ـ.

وفيه: استحباب المداومة على هذا الذكر، فقد قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، كما عند مسلم: «ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ». قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: «ولا ليلة صفين».

١٤٦٠ ـ وعن أَبي هُريرةَ ـ رَضِيَ الله عنهُ ـ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أَوَى أَحَدُكُم إلى فراشه، فَلْيَنْفُض فراشَهُ بداخلَة إزَاره فإنَّهُ لاَ يَدْري مَا خَلَفَهُ عَلَيْه، ثُمَّ يَقُولُ: باسْمكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبي، وَبكَ أَرْفَعُهُ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسي فَارْحَمْها، وإنْ أَرْسَلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِه عِبادَكَ الصَّالحِينَ» [متفقٌ عليه].

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب ما يقوله الإنسان من الذكر عند النوم.

والنوم: غشية ثقيلة تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشياء؛ ولذا قيل هو آفة؛ لأن النوم أخو الموت. وقيل النوم مزيل للقوة والعقل، وقيل مغط لهما، أمَّ السِّنَّة ففي الرأس، والنعاس في العين، وقيل السِّنَّة هي النعاس، وقيل هي ريح النوم تبدو في الوجه ثم تنبعث إلى القلب فينعس الإنسان فينام.

قال الفقهاء: الجنون يزيل العقل، والسكر والإغماء يغلبانه، والنوم يستره، وعلامة النوم الرؤيا، وعلامة النعاس سماع كلام الحاضرين وإن لم يفهم معناه.

وفي الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«إذا أوى أحدكم إلى فراشه» أي؛ أذا أتى إلى فراشه لينام عليه.

«فلينفض فراشه بداخلة إزاره» المراد بالداخلة طرف الإزار الذي يلي الجسد.

قال البيضاوي: «إنما أمر بالنفض بالداخلة؛ لأن الذي يريد النوم يحل بيمينه خارج الإزار، وتبقى الداخلة معلقة فينفض بها.

وقيل: حكمته أنه يستر بالثياب فيتوارى ما يناله من الوسخ.

«فإنه لا يدري ما خلفه عليه» أي؛ أنه يستحب نفض الفراش قبل الدخول فيه؛ لئلَّا يكون قد دخل فيه حية أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات وهو لا يشعر،

ولينفض ويده مستورة بطرف إزاره لئلَّا يحصل في مكروه إن كان شيء هناك.

وقال الطيبي: «معنى «لا يدري ما خلفه» لا يدري ما وقع في فراشه بعدما خرج منه من تراب أو قذارة أو هوام.

«ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي» أي؛ باسمك أستعين يا ربي.

«وبك أرفعه» أي؛ باسمك، أو بحولك وقوتك أرفعه فلا استغني عنك بحال.

«إن أمسكت نفسي» إمساكها؛ كناية عن الموت بدليل «فارحمها» لأن الرحمة تناسبه.

«فارحمها» أي؛ بالمغفرة والتجاوز عنها.

«وإن أرسلتها» أبقيتها في الدنيا؛ أي على قيد الحياة.

«فاحفظها» أي؛ من سائر المكاره ديناً ودنيا.

«بما تحفظ به» أي؛ من التوفيق والعصمة والأمانة.

«عبادك الصالحين» أي؛ القائمين بحقوق الله وعباده.

قال الطيبي: «وإن أمسكت نفسي» هو من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢]، جمع النفسين في حكم التوفي، ثم فرق بين جهتي التوفي بالحكم بالإمساك، وهو قبض الروح. والإرسال، وهو رد الحياة؛ أي الله يتوفى الأنفس التي يقبضها والنفس التي لم يقبض، فيمسك الأولى ويرسل الأخرى».

وفي الحديث: يستحب نفض الفراش قبل الدخول فيه؛ لكيلا يكون قد دخل فيه شيء من المؤذيات وهو لا يشعر.

وفيه: أن من حفظ الله حفظه الله، ولذلك فالله ـ عز وجل ـ يحفظ عباده الصالحين في أنفسهم وأموالهم، وأهليهم وأبنائهم.

وفيه: الحث على الذكر الوارد قبل النوم.

١٤٦١ ـ وعنْ عائشةَ ـ رضي الله عنْها ـ، أَنَّ رسول الله ﷺ كان إِذَا أَخَذَ مضْجعَهُ نَفَثَ في يدَيْهِ، وَقَرَأَ بالْمُعَوِّذاتِ ومَسح بِهمَا جَسَدَهُ، [متفقٌ عليه].

وفي رواية لهما: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذَا أَوى إلى فِرَاشه كُلَّ لَيْلَة جمَع كَفَّيْه ثُمَّ نفَثَ فيهما فقَرأَ فيهما: قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق، وَقُلْ أَعُوذُ بِربِّ النَّاسِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهمَا ما اسْتطاعَ من جسَده، يبْدَأُ بهما عَلَى رَأْسِهِ وَوجهِهِ، وما أَقبل مِنْ جَسَدِه، يَفْعَلُ ذلك ثَلاَثَ مرَّاتﷺ [متفقٌ عليه].

قال أَهلُ اللُّغَةِ: النَّفْثُ نَفخٌ لَطِيفٌ بِلاَ رِيقٍ.

❊ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب ما يقوله المرء عند النوم.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ:

(كان إذا أخذ مضجعة) أي؛ بالاضطجاع أو الجلوس لذلك فيه.

(نفث في يديه) وفي رواية: (جمع كفيه ثم نفث فيهما) طلباً لبركة ما يقرؤه.

(وجمع) أي؛ ضم بعضهما إلى بعض ونفث فيهما.

والنفث هو ريق يسير، وهو شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل.

(وقرأ المعوذات) أي؛ «قل هو الله أحد» والمعوذتين «قل أعوذ برب الفلق» «وقل أعوذ برب الناس» وأطلق على الثلاثة اسم المعوذات من باب التغليب. ولعل حكمة قراءة سورة التوحيد مع خلوها من التعويذ؛ الثناء عليه ـ تعالى ـ بما تضمنه من؛ أن لا إله إله سواه، ومن كان كذلك يستعاذ به دون غيره، فكان كالدليل على قصر التعوذ عليه.

(ومسح بهما جسده) أي؛ بيديه ما استطاع من جسده.

ويبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

والحكمة في هذا الدعاء: أنه استعاذه بالله ـ تعالى ـ مما يحدث من المهالك، ولا سيما من الهوام والحشرات القاتلة، وهو نائم على فراشه، غافل عما يجيء إليه، وعما يحدث له، فإذا انشغل العبد بهذه الآيات عند دخوله في الفراش، كان في حفظ الله ـ تعالى ـ ليلته تلك أجمع.

قال الطيبي: «قيل ينبغي أن يكون النفث بعد التلاوة، ليوصل بركة القرآن، واسم الله ـ تعالى ـ إلى بشرة القارئ أو المقروء له، فيكون هذا من باب قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨].

وقوله: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] على أن التوبة عين القتل، ونظائره في مكرم الله العزيز غير عزيز».

والمعنى: جمع كفيه ثم عزم على النفث فيهما فقرأ، والصحيح في معناه: أن النفث مقدم على القراءة، ودليل السر في تقديم النفث مخالفة السحرة البطلة، على أن أسرار الكلام النبوي جلت عن أن تكون مشرع كل وارد.

وفي الحديث: أنه ينبغي للإنسان إذا أخذ مضجعه أن يفعل مثلما فعل رسول الله ﷺ.

وفيه: بيان ما للقرآن من تأثير في حفظ الجسد بإذن الله ـ تعالى ـ من الشياطين وغيرهم.

وفيه: أن مباشرة اليد عند الرقية أقوى في النفع.

١٤٦٢ ـ وَعــن البرَاء بن عــازب، ـ رَضيَ الله عنْهمَا ـ، قَالَ: قال لي رسُــولُ الله ﷺ: «إِذَا أَتيتَ مَضْجعَكَ فَتوضَّأْ وضُوءَكَ للصَّلاة، ثُمَّ اضْطَجعْ عَلى شـقِّكَ الأيْمَنِ، وقلْ: اللَّهمَّ أَسْلَمْتُ نفسـي إِلَيكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهي إِلَيْك. وَفَوَّضتُ أَمـري إِلَيْكَ، وَأَلجَأْتُ ظَهري إِلَيْك، رغبةً ورهْبَةً إِلَيْـكَ، لامَلجأَ ولا مَنجى منْكَ إِلاَّ إِليكَ، آمنتُ بكِتَابكَ الذي أَنزَلْت، وبِنَبِيِّكَ الذي أَرسَلت، فإِنْ مِتَّ. مِتَّ على الفِطرَةِ، واجْعَلهُنَّ آخِرَ ما تَقُولُ» [مُتَّفَقٌ عليه].

❊ في الأحاديث الســابقة أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من الأحاديث في باب ما يقوله عند النوم.

وفي هذا الحديث؛ قال البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال لي رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة».

توجيه من النبي ﷺ لأمته حال أن الإنسان ذاهب إلى فراشه لينام فليكن على وضوء، وأن ينام على الجنب الأيمن، ويقول هذا الدعاء:

«اللهم أسلمت نفسي إليك» أي، تركتها مسلمة إليك من غير تعرض مني لما يرد إليها منك؛ كما هو حق السيد على عبده.

«ووجهت وجهي إليك» أي؛ ذاتي، وكنى به عنه؛ لأنه أشرف ما في الإنسان إذ هو محل الصورة التي بها تمايز الجمال. والمراد الإخلاص، فكل عملي إنما أريد به وجهك الكريم؛ ولا يقبل عمل إلا إذا أخلص فيه صاحبه.

«وفوضت» أي؛ سلمت، واعتمدت، وتوكلت عليك.

«أمري إليك» ومن فوض أمره إلى مولاه كفاه.

«وألجأت ظهري إليك» أي؛ أرجعته إليك، وجعلته راجعاً بين يديك، فلا ملجأ منك إلا إليك. وذكر الظهر؛ لأن الاعتماد يكون عليه.

«رغبــة ورهبة» أي؛ طعماً في ثوابــك. وخوفاً من عقابك. قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].

«إليك» أي؛ نحن في حالتيهما نلجأ إليك لا إلى غيرك.

«لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك» أي؛ لا مستند ولا نجاة منك إلى أحد إلا إليك. ثم ذكر ﷺ في الدعاء الإيمان بالقرآن وبالرسول ﷺ.

«آمنت بكتابك الذي أنزلت» أي؛ صدقت بالقرآن، والإيمان به يستلزم الإيمان بكل كتاب منزل.

«ونبيك الذي أرسلت» أي؛ محمد ﷺ الذي أرسلته إلى الثقلين، الجن والإنس.

قال الكرماني: «هذا الحديث يشتمل على الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إجمالاً من الكتب والرسل من الإلهيات والنبويات وعلى إسناد الكل إلى الله من الذوات والصفات والأفعال لذكر الوجه والنفس والأمر، وإسناد الظهر مع ما فيه من التوكل على الله والرضا بقضائه وهذا كله بحسب المعاش، وعلى الاعتراف بالثواب والعقاب خيراً وشراً وهذا بحسب المعاد».

ومن فضل هذا الدعاء أن المسلم إذا مات من ليلته مات على الفطرة. أي الإسلام، وإن أصبح أصبح بخير وعافية.

وفي الرواية الأخرى؛ استحباب الوضوء قبل النوم حتى يكون على طهارة «من بات طاهراً بات في شعاره ملك فلا يستيقظ إلا قال الملك: «اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات طاهرا» [صحيح الترغيب].

قال النووي: «في الحديث ثلاث سنن:

إحداها: الوضوء عند النوم، وإن كان متوضئاً كفاه؛ لأنه المقصود النوم على طهارة. **ثانيها**: النوم على اليمين. **ثالثها**: الختم بذكر الله».

وفي الحديث: فضل الاستسلام، والتفويض، والالتجاء إلى الله ـ عز وجل ـ في كل وقت وحين وخاصة عند النوم فهي الموته الصغرى، فكم من نائم طال نومه ولم يستيقظ حيّاً.

وفيه: استحباب النوم على الشق الأيمن.

١٤٦٣ ـ وَعَنْ أَنَسٍ ـ رَضيَ الله عَنْهُ ـ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذا أَوَى إلى فِرَاشِه قَال: «الحَمْدُ لله الَّذي أَطْعَمنَا وسقَانا، وكفَانَا وآوانَا، فكمْ مِمَّنْ لا كافِيَ لَهُ ولا مُؤْوِيَ» [رواهُ مسلمٌ].

❋ لا يــزال المؤلــف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب ما يقوله عند إرادة النوم.

والنوم آية من آيات الله ـ عز وجل ـ الدالة على كمال قدرته وحكمته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٣] وهــو نعمــة من نعــم الله على العبــد؛ لأنــه يستريح فيــه من تعب سابق وينشط فيه لعمل لاحق، فهو ينفع الإنسان فيما مضى، وفيما يستقبل.

وفي هذا الحديث عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ:

(أن النبــي ﷺ كان إذا أوى إلــى فراشــه) (كان) تــدل على المداومة والاستمرار.

قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسـقانا» ذكرهمــا لأن المنام إنما يحصل بعد حصول الحاجة منهما.

«وكفانا» من الكفاية.

قال السعدي: «الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه»

«وآوانا» أي؛ جعل لنا مأوى. أي مســكناً نأوي إليه، وغيرنا يهيمون في الحر والبرد.

«فكم» كثير.

«ممن» أي؛ من شخص، و«من» فيه لتأكيد التكثير المتضمن له «كم».

«لا كافي له» أي؛ لا راحم له ولا عاطف عليه. وقيل معناه: لا وطن له ولا سكن يأوي إليه.

«ولا مؤوي» والمؤوي هو الله ـ عز وجل ـ؛ يكفي بعض الخلق شر بعض، ويهيء لهم المأوى والمسكن.

وفيه تعداد العبد للنعم عليه، والنظر إلى من جعلهم الله دونه في المظاهر الدنيوية ليعظم ما فيه العبد عنده فيزداد شكراً لله ـ عز وجل ـ.

قال القرطبي: «أي كثير من الناس من أراد الله إهلاكه لم يطعمه ولم يسقه، ولم يكسه، إما أنه أعدم هذه الأمور في حقه، وإما لأنه لم يقدره على الانتفاع بها حتى هلك، هذا ظاهره، ويحتمل أن يكون معناه؛ فكم من أهل الجهل والكفر بالله ـ تعالى ـ لا يعرف أن له إلهاً يطعمه، ويسقيه ويؤويه، ولا يقر له بذلك، فصار الإله في حقه وفي اعتقاده كأنه معدوم».

وفي الحديث: أن وجود مأوى يأوي إليه العبد نعمة من الله ـ عز وجل ـ ينبغي شكرها.

وفيه: أن العبد إذا حصل على حاجته من الطعام والشراب والمسكن، فقد كفاه الله وآواه.

وفيه: تعداد العبد للنعم على نفسه، والنظر إلى من جعلهم الله دونه، فهو أجدر أن لا يزدري نعم الله عليه.

١٤٦٤ ـ وعنْ حُذيْفَةَ، ـ رضِيَ الله عَنْهُ ـ، أَنَّ رسُـول الله ﷺ كَانَ إذا أَرَاد أَنْ يرْقُدَ، وضَع يَدهُ اليُمنَى تَحْتَ خَدِّه، ثُمَّ يقُولُ: «اللهمَّ قِني عَذابكَ يوْمَ تَبْعثُ عبادَكَ» [رواهُ الترمذيُّ وقال: حديثٌ حَسنٌ].

وَرَواهُ أَبـو داودَ مِنْ رِوايةِ حفْصةَ، ـ رَضِـي الله عنْهُا ـ، وَفيه أَنَّهُ كَانَ يقُولهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

أورد المؤلـف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من الأحاديث في باب ما يقوله العبد عند النوم.

وراوي هـذا الحديـث؛ هو الصحابي الجليل؛ أبو عبـد الله حذيفة ابن اليمان ابن حسـل بن جابر العبسي، واليمان لقب حسل، صحابي، ومن الولاة الشـجعان الفاتحين، كان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين لم يعلمهم أحد غيره، ولاه عمر على المدائن، وتوفي بها سـنة ست وثلاثين للهجرة.

وفي هذا الحديث؛ عن حذيفة أن رسـول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد أي؛ ينام، وضع يده اليمنى تحت خده؛ ومن لازمه الاضطجاع على الجانب الأيمن، ثم يقول بعد الاضطجاع:

«اللهم قني عذابك» أي؛ احفظني، وجنبي عذابك.

«يوم تبعث عبادك» أي؛ يوم القيامة. وفيه إثبات الحشر والمعاد، وأن الناس راجعون إلى ربهم ليحاسبهم على أعمالهم.

وفـي روايـة حفصة ـ رضي الله عنهـا ـ: أنه كان يقـول ذلك ثلاث مرات.

وهذا منه ﷺ خضوع لمولاه، وأداء الحق مقام الربوبية، وأداؤه لحقه في دوام التذكر والإجلال. قال تعالى: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

قال ابن باز: «الأذكار التي ورد ذكرها قبل النوم تقال عند نوم الليل فقط».

قال ابن الصلاح: «من حافظ على أذكار الصباح والمساء، وأذكار بعد الصلوات، وأذكار النوم؛ عد من الذاكرين الله كثيراً».

وفي الحديث: قول هذا الحديث وهو من أذكار النوم.

ـ وفيه: فضل هذا الدعاء وتنبيه النبي ﷺ للأمة أن لا يأمنوا عذاب الله، أو يتجاهلوا تقصيرهم نحوه، أو يغفلوا عن الشيطان ووسوسته لهم بالشر.

ـ وفيه: استحباب الاضطجاع على الجانب الأيمن.

كتاب الدعوات

٢٥٠ ـ باب فضل الدعاء

أورد المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ هنا كتاب الدعوات.

والدعوات جمع دعوة، وهي دعوة الإنسان ربه ـ عز وجل ـ يقول: يا رب، يا رب وما أشبه ذلك، يسأل الله ـ تعالى ـ أن يعطيه ما يريد وأن يكشف عنه ما لا يريد.

ثم ذكر «باب فضل الدعاء» والدعاء: هو العبادة.

وذكر جملة من الآيات.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. هذا من فضله وجوده وكرمه ـ تبارك وتعالى ـ أن ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة.

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥].

﴿تَضَرُّعًا﴾ أي؛ تذللاً واستكانة لطاعته.

﴿وَخُفْيَةً﴾ أي؛ بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين بوحدانيته فيما بينكم وبينه لا جهاراً ومراءاة.

قال ابن عباس: «خفية» أي؛ سراً، وقال ابن جريج: «يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء».

وفي قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ أي؛ في الدعاء وغيره، فلا يسأل مثلاً منازل الأنبياء، ولا مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] الآية.

عن ابن عباس قال: قال يهود أهل المدينة: يا محمد كيف يسمع ربنا دعاؤنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، وأن غلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت الآية.

قال ابن القيم: «تناول نوعي الدعاء؛ دعاء العبادة، ودعاء المسألة، وبكل منهما فسرت الآية. قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل: أثيبه إذا عبدني».

وإجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلاف فيه. غير أن إجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة، فإجابة الدعاء أن يقول العبد: يا رب، فيقول الله: لبيك عبدي، وهذا أمر موعود لكل مؤمن. وقضاء الحاجة إعطاء المراد، وقد يكون ناجزاً، وقد يكون بعد مدة، وقد يكون في الآخرة، وقد يكون الخيرة له في غيره.

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] الآية.

ينبه ـ تعالى ـ أنه هو المدعو عند الشدائد، الموجود عند النوازل، وهو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف المضرورين إلا سواه، وفي الآية تنبيه لطيف على أن دعوة المضطر مستجابة.

١٤٦٥ ـ وَعن النُّعْمانِ بْنِ بشـــيرٍ ـ رضِي الله عنْهُما ـ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعاءُ هوَ العِبَادةُ» [رواه أبو داود والترمذي وقالا: حديث حسن صحيح].

ذكر المؤلـف ـ رحمه الله تعالى ـ الآيات الدالة على فضل الدعاء والأمر به، ثم اتبعها بجملة من الأحاديث في ذلك.

وراوي هـذا الحديـث؛ النعمان بن بشـير الأنصـاري الخزرجي، أبوه صحابي، وأمه صحابية أيضاً، ـ رضي الله عنهم ـ سـكن النعمان الشام، وولـي أمره الكوفة من قبل معاوية، ثم نقله معاوية إلى حمص، وقتل بها سنة أربع وستين للهجرة.

وفي هذا الحديث؛ عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال:

«الدعـاء هـو العبـادة» أي؛ أن الدعاء من العبادة. ويشـهد لهذا قول الله تعالـى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل يستكبرون عن دعائي.

قـال ابن القيم: وقوله «هو العبادة» فيه مبالغة في تعظيم شـأن الدعاء، والعرب إذا أرادت المبالغة في شيء حصرت الممدوح في الصفة، ومنه قول النبي ﷺ: «الحج عرفة» مع أن الحج يشـمل أعمـالاً أخرى، ولكنه جعل الوقوف بعرفة أعظم مناسـك الحج، وقوله ﷺ: «الديـن النصيحة» للتنويه بمنزلة النصيحة، فكذلك العبادة تشـمل أعمالاً وأقوالاً كثيرة، ولكن النبي ﷺ جعل الدعاء على رأسها».

وقـال ﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾ قال ابن عثيمين: «فدل هـذا على أن الدعاء هو العبادة ووجه ذلك من النظر أن الإنسـان إذا دعا ربه فقد اعترف لله ـ عز وجـل ـ بالكمال وإجابة الدعاء، وأنه على كل شـيء قدير، وأن العطاء أحب إليه من المنع، ثم هو لم يلجأ إلى غيره، لم يدع غير الله لا ملكاً ولا نبيّاً ولا وليّاً ولا قريباً ولا بعيداً.

وهـذه هي حقيقة العبادة، وبذلك نعرف أنك إذا دعوت الله أُثِبْتَ على هذا الدعاء سواء استجيب لك أم لا، لأنك تعبدت لله ـ عز وجل ـ، وعبدت الله، فإذا قلت: يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب ارزقني، يا رب اهدني، فهذه عبادة تقربك إلى الله ـ عز وجل ـ ويكتب الله لك بها ثواباً عنده يوم القيامة».

قال القاضي عياض: «أي؛ هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة، للدلالة على الإقبال على الله ـ تعالى والإعراض عما سواه».

قال الراغب: «والعبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال».

قال ابن تيمية: «والدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

أما دعاء المسألة: فهو دعاء الطلب، أي؛ ما يستدعي مطلوباً من المولى ـ عز وجل ـ، لجلب نفع أو كشف ضر، وهو الذي لا يفهم عامة الناس غيره.

ودعاء العبادة، وهو:

أ ـ إما بالجوارح، كالصلاة والصوم وغير ذلك من العبادات، وسميت دعاء؛ لأن العبد يسأل الله بحاله لا بمقاله.

ب ـ وأما باللسان، وهو ذكر الله والثناء عليه دون أن تذكر مطلوباً، فتناديه بأسمائه وصفاته، لتثني عليه، والثناء يتضمن دعاءً، ومنه حديث **«خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»** ومنه ما رواه البيهقي عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أن أعرابياً قال للنبي ﷺ: علمني دعاء لعل الله أن ينفعني به؟ قال: **«قل اللهم لك الحمد كله، وإليك يرجع الأمر كله»**.

وكلا النوعين مطلوب، وفيه مرغوب، لا يجوز الاقتصار على أحدهما، لأن الله يحب المدح والثناء، وفي الوقت نفسه يحب أن يُسأل ولذلك أمر بدعائه في أكثر من موضع، والفاتحة اشتملت على النوعين معاً».

وفي الحديث: الدعاء لب العبادة وروحها، ولذلك ينبغي أن يكون مخلصاً صواباً.

وفيه: أنه ينبغي على العبد أن يظهر العجز لربه والاحتياج عن نفسه، ويعترف أن مولاه قادر على إجابته؛ سواء استجاب، أو أخر ذلك إلى يوم القيامة، أو صرف عنه شيئاً من السوء.

١٤٦٦ ـ وعَنْ عَائِشَــةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ، قَالَتْ: كَان رسُول الله ﷺ يَسْتَحِبُّ الجوامِعَ مِنَ الدُّعاءِ، ويَدَعُ ما سِوى ذلكَ. [رَوَاه أَبو داود بِإسنادٍ جيِّد].

❊ أورد المؤلــف ـ رحمه الله تعالى ـ هــذا الحديث؛ في باب فضل الدعاء والأمر به.

والدعــاء كما قال الخطابي: «اســتدعاء العبد ربــه ـ عز وجل ـ العناية واستمداده إياه المعونة».

وحقيقة الدعاء: إظهار الافتقار إلى الله ـ عز وجل ـ والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ـ عز وجل ـ، وإضافة الكرم والجود إليه ـ سبحانه ـ.

والدعــاء طريق النجاة، وســلم الوصول، ومطلــب العارفين، ومطية الصالحين، ومفزع المظلومين، وملجأ المســتضعفين؛ به تســتجلب النعم، وتستدفع النقم.

والدعــاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو يخفضه. وتيســير الأمور، وهو ســبب لدفع غضب الله، لقوله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه» [رواه أحمد].

وهذا الحديث؛ روته أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

قالت:

(كان رسول الله ﷺ) (كان) تدل على المداومة والاستمرار.

(يستحب) أي؛ يحب، وصيغة الافتعال للمبالغة.

(الجوامــع من الدعــاء) أي؛ الأدعية القليلة الألفــاظ الجامعة للمعاني الكثيرة. مــا كان لفظه قليلاً ومعناة كثيراً، جمع خير الدنيا والآخرة. كما فــي قوله تعالــى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

وقوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٨] وغيرها كثير.

(ويدع) أي؛ يترك.

(ما سوى ذلك) وذلك لأن القوى البشرية تعجز عن الدوام على القيام بأداء الآداب المستحقة للربوبية المطلوبة من الداعي، فندب له الإتيان باللفظ اليسير لسهولة القيام بالآداب زمنه، وندب أن يكون جامعاً ليصل إلى مطلوبه بأسهل طريق.

وقد خص الله ـ عز وجل ـ نبينا محمد ﷺ بجوامع الكلم، فقد جمع له أشتات الحكوم والعلوم في كلمات يسيرة.

وقد كان ﷺ يكرر الدعاء، فإذا دعا دعا ثلاثاً.

قال ابن القيم: «أشد العقوبة أن يمسك الله لسانك عن ذكره».

وفي الحديث: استحباب الإتيان باللفظ اليسير في الدعاء، وأن يكون الدعاء جامعاً شاملاً جامعاً للمهمات والمطالب، فيكون قليل المبنى، جليل المعنى.

١٤٦٧ ـ وعَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ الله عنْهُ ـ، قَالَ: كانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النبيِّ ﷺ: «اللهمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفي الآخرةِ حَسنَةً، وَقِنَا عَذابَ النَّارِ» [مُتَّفَقٌ عليهِ].

زاد مُسلِمٌ في روايتِه قَالَ: وكَانَ أَنَسٌ إذا أَرَادَ أَنْ يَدعُوَ بِدعوَةٍ دَعَا بِها، وَإِذا أَرَادَ أَن يَدعُو بِدُعَاءٍ دَعا بِهَا فيه.

❋ لا يــزال المؤلــف ـ رحمه الله تعالى ـ يــورد الأحاديث في فضل الدعاء. وفي هذا الحديث؛ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:

(كان أكثر دعاء النبي ﷺ) أي؛ أكثر ما يداوم عليه من الدعاء.

«اللهم» أي؛ يا الله. توسل بأعظم وأجمل الأسامي والصفات.

«آتنا» أي؛ أعطنا، وتفضل علينا.

«في الدنيا حسنة» يدخل فيها كل خير دنيوي وصرف كل شر، وقد جمعت هذه الكلمات ســؤال من خير الدنيا كله بأوجز لفظ وعبارة، فجمعت كل خير يتمناه العبد.

قال ابن كثير: «الحســنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، ودار رحبة، وزوجة حســنة، وولد بار، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك.

«وفي الآخرة حســنة» يشــمل حســنة الآخرة كلها، من الحساب اليسير، وإعطاء الكتاب باليمين، والمرور على الصراط بسهولة، والشرب من حوض الرسول ﷺ، ودخول الجنة، إلى غير ذلك من حسنات الآخرة.

وهي أعلى حســنة، فأما الحسنة في الآخرة فلا شك أنها الجنة؛ لأن من لم ينلها يومئذ فقد حرم جميع الحسنات.

«وقنا عذاب النار» تخصيص بعد تعميم؛ لأنه هو الفوز.

أي؛ إن صــدر منا ما يوجبها من التقصيــر والعصيان، فاعف عنا وقنا عذاب النار.

والنجاة من النار يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا، من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام.

وقال النووي: «أظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا: أنها العبادة والعافية، وفي الآخرة: الجنة والمغفرة، وقيل الحسنة نعم الدنيا والآخرة».

أما الحسنة في الآخرة؛ فأعلاها دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات، ويسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة، وأما الوقاية من عذاب النار، فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم وترك الشهوات».

وقال الطيبي: «هذا الدعاء من الجوامع التي تحوز جميع الخيرات الدنيوية والأخروية، وبيانه: أنه ﷺ كرر الحسنة ونكرها تنويعاً، وقد تقرر في علم المعاني أن النكرة إذا أعيدت كانت الثانية غير الأولى، فالمطلوب في الأولى الحسنات الدنيوية، من الاستعانة والتوفيق، والوسائل إلى اكتساب الطاعات والمبرَّات، بحيث تكون مقبولة عند الله ـ تعالى ـ، وفي الثانية يترتب عليها من الثواب والرضوان في العقبى».

وزاد مسلم في روايته قال: «وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها فيه؛ أي في جملته، وذلك اقتداء به ﷺ لإكثاره منها لقلة ألفاظها وإحاطتها بخير الدارين».

وهذا الحديث: من أجمع الأدعية، بل هو أجمعها؛ لأنه شامل.

قال ابن عثيمين: «هذا الدعاء أجمع الدعاء».

وفيه: أنه ينبغي أن يدعو به المسلم كما كان يفعل أنس اقتداء بالرسول ﷺ.

وفيه: حرص الصحابة على المحافظة على السنة وتطبيقها استجابة لله وللرسول ﷺ.

١٤٦٨ ـ وعَن ابن مسْعُود ـ رَضي الله عنْهُ ـ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعفَافَ، والغنَى» [رواهُ مُسْلِمٌ].

❋ هذا الدعاء العظيم شامل لأربعة مطالب عظيمة وجليلة لاغنى عنها لأي عبد سائر إلى الله ـ عز وجل ـ، فقد جمعت مطالب الدنيا والآخرة، وقد سأل النبي ﷺ هذه الخصال لشرفها ومكانتها، فقال:

«اللهم أني اسألك الهدى» وهو أعظم مطلوب للعباد لا غنى لهم عنه في هذه الدار: و«الهدى» هو الدلالة والرشاد.

ويشمل الهدى: العلم والتوفيق. وهو أعظم مطلوب للعباد، به يسير على الصراط المستقيم ويصل به إلى جنة رب العالمين.

و«التقى»: تقوى الله ـ عز وجل ـ، والتقوى: اسم جامع لفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه. فإن الله ـ عز وجل ـ إذا منّ على العبد بالتقى سار على الجادة والصراط المستقيم، لا مائلاً عن الحق ولا منحرفاً عن الجادة المستقيمة.

وقوله «والعفاف» وهو أن يعف عن كل ما حرم الله عليه. ويتنزه عما لا يباح. عفاف عن الزنا بكل أنواعه، وعفاف عن الكسب المحرم وغيره.

«والغنى» الغنى عن الخلق والاغتناء عن الناس، وعما في أيديهم، فيكون افتقاره لله وحده لا رب سواه.

وقوله: «والعفاف والغنى» يتضمن العفاف عن الخلق، وعدم تعليق القلب بهم، والغنى بالله وبرزقه، والقناعة بما فيه، وحصول ما يطمئن به القلب من الكفاية، وبذلك تتم سعادة الحياة الدنيا، والراحة القلبية، وهي الحياة الطيبة، فمن رزق الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى، نال السعادتين، وحصل على كل مطلوب، ونجا من كل مرهوب.

وهـذه الصفة يحبها الله ـ عز وجـل ـ، في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي» [رواه مسلم].

قيل: قدم «الهدى والتقى» على «العفاف والغنى»؛ لأن الهدى والتقى قوام صلاح العبد في أمر دينه، والعفاف والغنى قوام صلاحه في دنياه، وأمر الدين مقدم على أمر الدنيا.

أو لأن «الهدى والتقى» فيهما شفاء الشبهات، والعفاف والغنى فيهما شفاء الشهوات، وداء الشبهات أخطر من داء الشهوات.

وقيل: قدم «الهدى» على «التقى»؛ لأن «الهدى» هو العلم النافع، «والتقى» هو العمل الصالح، والعلم مقدم على العمل وأن «الهدى» سبب لتحصيل التقى، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

وقيل أيضاً: أن «الهدى» عبارة عن اتباع الرسول، والتقى مقتض للإخلاص في الاتباع.

أما تقدم «العفاف» على «الغنى» فقيل: لأن العبد أحوج إلى العفاف منه إلى الغنى. أو لأن العفاف فيه درء المفسدة ما ليس في الغنى. أو لأن العفاف فيه كسر شهوة النساء، والغنى فيه كسر شهوة المال والتطلع. والأول أولى.

وإذا كان هذا دعاء النبي ﷺ مع جلالة قدره ورفيع منزلته فنحن أولى لضعفنا، ونقوله اقتداء بالنبي ﷺ، وطلباً للعون من الله ـ عز وجل ـ وخضوعاً له، ولجوءً إليه في كل أحوالنا.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ: «هذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها، وهو يتضمن سؤال خير الدين وخير الدنيا، فإن الهدى هو: العلم النافع، والتقى: العمل الصالح، وترك ما نهى عنه الله ورسوله وبذلك يصلح الدين، فإن الدين علوم نافعة ومعارف صادقة فهو «الهدى». وقيام بطاعة الله ورسوله فهو «التقى».

١٤٦٩ ـ وعَنْ طارق بن أَشْيَمَ، ـ رضيَ الله عَنْهُ ـ، قالَ: كَانَ الرَّجلُ إِذا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبيُّ ﷺ الصَّلاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدعُوَ بهَؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: «**اللهمَّ اغفِرْ لي، وَارْحمْني، واهْدِني، وعافِني، وارْزُقني**» [رواهُ مسلمٌ].

وفي روايَةٍ لَهُ عَنْ طارق أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ وَأَتاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يا رَسُولَ الله. كَيْفَ أَقُولُ حينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: «**قُلْ: اللهمَّ اغْفِرْ لي، وَارْحَمْني، وَعَافِني، وَارْزُقني، فَإِنَّ هَؤُلاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ**».

❋ ساق المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب فضل الدعاء.

في الحديث؛ عن طارق بن أشيم ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان إذا أسلم الرجل علمه الصلاة؛ لأن الصلاة هي أهم وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات. وهي خمس كلمات يُعلمها النبي ﷺ الرجل إذا أسلم.

«**اللهم اغفر لي**» أي؛ اغفر لي ذنوبي، وهو سؤال الله المغفرة، وهو محو الذنوب، وسترها عن الناس، والكافر إذا أسلم غفر الله له ذنوبه فإن الإسلام يجُّب ما قبله.

وطلب المغفرة؛ مشروع حتى بعد الإسلام من كل مسلم لإن الإنسان لا يخلو من الذنوب، كما جاء في الحديث: «**وخير الخطائين التوابون**» [رواه الترمذي].

«**وارحمني**» أي؛ أسبغ علي رحمتك، ففي طلب المغفرة النجاة من السيئات والآثام والعقوبات، وفي طلب الرحمة حصول المطلوبات، لأن الإنسان لا يتم له الأمر إلا إذا نجا من المكروب وفاز بالمطلوب.

«**واهدني**» أي؛ أرشدني ووفقني للحق الذي الصلاح فيه الحال والمآل. والهداية هدايتان: هداية علم وبيان، وهداية توفيق ورشد.

«وعافني» أي؛ سلمني من كل الأمراض، القلبية من شك أو شرك أو شهوة، ومن أمراض البدن.

«وارزقني» أي؛ الرزق الذي يقوم به البدن؛ من الطعام والشراب واللباس والسكن وغير ذلك.

والرزق نوعان؛ الأول يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب من العلم النافع والعمل الصالح؛ وهذا الأخير أفضل أنواع الرزق الذي يعود نفعه على العبد في الدنيا والآخرة.

«فإن هؤلاء» أي؛ هذه الدعوات الخمس.

«تجمع لك دنياك وآخرتك» أي؛ تجمع لك مطالبها، فإن الرزق والعافية والرحمة تعم الدنيا والآخرة، والمغفرة تخص الآخرة. وتتضمن كذلك الوقاية من كل شر فيها.

وبدأ في الحديث بالمغفرة لكونها كالتخلية، لما فيها من التنزيه من أقذار المعاصي، وعقبها بالرحمة لكونها كالتحلية، وعطف عليها الهداية، عطف خاص على عام، وبعد تمام المطلب سأل الله العافية ليقدر على الشكر، وطلب الرزق لتستريح نفسه عن الهم بتحصيله.

وفي الحديث: الاهتمام بالصلاة لأنها عمود الإسلام.

وفيه: الحث على هذا الدعاء الوارد في الحديث، لأن يجمع مطالب الإنسان في الدنيا والآخرة.

وفيه: يستحب للعبد أن يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة.

١٤٧٠ ـ وَعَنْ عَبْد الله بن عمرو بن العاص ـ رضيَ الله عنْهُمَا ـ، قَالَ: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «اللهمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صرِّفْ قُلوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

القلوب بيد الله ـ عز وجل ـ يصرفها كيف يشاء، كل قلب من قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلبه كيف يشاء، وكيف شاء ـ عز وجل ـ، وحري بمن هذه حاله أن يسأل الله ـ عز وجل ـ أن يثبته على دينه وأن يصرف قلبه على طاعته.

وفي هذا الحديث؛ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«اللهم مصرف القلوب» أي؛ مغيرها من شأن إلى شأن آخر، كالهداية بعد الضلالة وعكسه.

قال البيضاوي: «نسب تقلب القلوب إلى الله ـ تعالى ـ؛ إشعاراً بأن الله ـ تعالى ـ إنما تولى بنفسه أمر قلوبهم ولم يكله إلى أحد من الملائكة».

«صرف قلوبنا» أي؛ غيرها من حال إلى حال.

قال الطيبي: «في إسناد القلوب إلى ضمير الجمع، إشعار برأفته ورحمته على الأمة، ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، وخص نفسه بالتضرع والابتهال إعلاماً بأن نفسه القدسية الطاهرة المصطفوية إذا كانت مفتقرة إلى اللجوء منه إليه، كان غيره أولى وأحرى، كما قال: «أعوذ بك منك».

«على طاعتك» أي؛ صرف وثبت قلوبنا على طاعتك ومرضاتك فلا تزغها بعد الهدى.

قال ابن عثيمين: «وقوله: «صرف قلوبنا على طاعتك» قد يتبادر إلى الذهن أن الأولى أن يقال: «إلى طاعتك» لكن قوله: «على طاعتك» أبلغ،

يعنـــي قلب القلب على الطاعة فلا يتقلب على معصية الله، لأن القلب إذا تقلب على الطاعة صار ينتقل من طاعة إلى أخرى؛ من صلاة إلى ذكر إلى صدقة إلى صيام إلى علم إلى غير ذلك من طاعة الله ـ عز وجل ـ، فينبغي لنا أن ندعوا بهذا الدعاء «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**».

وقال القرطبي: «أحوال القلوب متنقلة غير ثابتة ولا دائمة، فحق العاقل أن يحذر على قلبه من قلبه، ويفزع إلى ربه في حفظه».

قال الســـعدي: «ومن كان قصده في دعائـــه؛ التقرب إلى الله بالدعاء، وحصـــول مطلوبه فهو أكمل بكثير ممن لا يقصد إلا حصول مطلوبه فقط؛ كحـــال أكثر الناس، فإن هذا نقصـــص وحرمان لهذا الفضل العظيم، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافســـون، وهذا مـــن ثمرات العلم النافع، فإن الجهل منع الخلق الكثير من مقاصد جليلة، ووسائل جميلة».

وفي الحديث: أن العبد المؤمن يكثر من الدعاء ويتحرى النجاة ويســـلك مسالكها وأسبابها؛ فإن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وفيـــه: طلب العـــون والهداية من الله ـ عز وجل ـ والاســـتقامة وعدم الزيغ.

وفيه: اســـتحباب هذه الدعاء العظيم؛ لأن فيه طلب الهداية إلى الطاعة والمداومة عليها.

وفيه: أن الله ـ عز وجل ـ يتولى قلوب العباد بنفســـه، فيصرفها كيف يشاء.

١٤٧١ ـ وَعَــنْ أَبي هُريَــرةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ، عــنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِـنْ جَهْدِ الْبَلاءِ، وَدَرَكِ الشَّـقاءِ، وَسُــوءِ الْقَضَـاءِ، وَشَـماتَةِ الأَعْدَاءِ» [متفقٌ عليه].

وفي رِوَايَةٍ: قالَ سُفْيَانُ: أَشُكُّ أَنِّي زِدْتُ وَاحِدَةً منها.

❋ الدعاء عبادة عظيمة، لا يجوز صرفها لغير الله ـ عز وجل ـ، وفي الدعاء من الذل والانكســار في النفس وانشراح في الصدر، وصبر يسهل معه احتمال الواردات عليه، وهذا نوع من أنواع الإجابة.

وقــد أورد المؤلف ـ رحمــه الله تعالى ـ هذا الحديــث في باب فضل الدعاء.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ؛ عن النبي ﷺ قال:

«تعوذوا بالله» أي؛ التجأوا إلى الله، واسألوه العافية.

«من جهد البلاء» من الجهد والمشــقة، وكل ما أصاب الإنســان من شدة المشقة وما لا طاقة له بحمله، ولا يقدر على دفعه عن نفسه، فهو من جهد البلاء.

سُــئل ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن «جهد البلاء» فقال: «قلة المال، وكثرة العيال» وقيل: هي الحالة الشاقة.

«ودرك الشــقاء» الشقاء ضد السعادة. والشقاء: الإدراك بالشدة والعسر، ويطلق على الهلاك.

قال النووي: «معناه: أعوذ بك أن يدركني شــقاء، أي هلاك في الدنيا أو في الآخرة».

«وســوء القضاء» يدخل فيه سوء القضاء في الدين والدنيا، والبدن والمال والأهل، وقد يكون ذلك في الخاتمة.

«وشماتة الأعداء» الشماتة: هي الفرح بحزن العدو. وهي فرح العدو ببلية تنزل بعدوه.

قال القرطبي: «شماته الأعداء هي ظفرهم به، أو فرحهم بما يلحقه من الغدر والمصائب، وقد جاء هذا الدعاء مسجعاً كما ترى؛ لأن السجع لم يكن متكلفاً، وإنما المذموم المتكلف. وتعوذه ﷺ بهذه التعوذات، إظهار للعبودية وبيان للمشروعية».

وقد ذكر الفقهاء ضابطاً للعدو، قالوا: من سره ما ساء شخصاً أو غمه فرحه فهو عدوه، وكل إنسان يسره ما ساءك أو يغمه فرحك فإنه عدو لك.

وفي رواية: قال سفيان أشك أني زوت واحدة منها؛ قيل إن التي زاد فيها هي شماته الأعداء.

قال الكرماني: «هذا الدعاء من الجوامع؛ لأن المكروه إما أن يلاحظ من جهة المبدأ، وهو سوء القضاء، أو من جهة المعاد، وهو درك الشقاء؛ إذ شقاء الآخرة هو الشقاء الحقيقي، أو من جهة المعاش، وذلك إما من جهة غيره، وهو شماته الأعداء، إذ هي مما ينكأ في القلب، ويؤثر في النفس تأثيراً شديداً أو من جهة نفسه، وهو جهد البلاء، نعوذ بالله من ذلك».

قال ابن القيم: «والمقصود أن الذنوب من أقوى الأسباب الجالبة لزوال نعم الله وتحول عافيته، وفجاءة نقمته، وجميع سخطه ـ سبحانه ـ».

وفي الحديث: الدعاء بهذا الدعاء الجامع الذي يدفع الله به المكروه في الحياة الدنيا والآخرة.

وفيه: أن يتعوذ المسلم من أمر يلحقه شقاء في الدنيا يتعبه ويثقله، وفي الآخرة يعذبه.

وفيه: التضرع إلى الله واللجأ إليه ـ سبحانه وتعالى ـ.

١٤٧٢ ـ وَعَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللهمَّ أَصْلِحْ لي دِيني الَّذي هُوَ عِصْمَةُ أَمْري، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ التي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي التي فِيهـا معادي، وَاجْعَـلِ الحيَاةَ زِيادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَـلِ الموتَ راحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍ» [رَوَاهُ مسلِمٌ].

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب الدعاء.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

كان رسول الله ﷺ (كان) تدل على المداومة والاستمرار.

يقول:

«اللهـم أصلـح لـي ديني» بأن توفقنـي للقيام بآدابه علـى الوجه الأكمل الأتم.

بـدأ بالدين لأن الإسـلام عصمة للعبد من الوقوع فـي الخطأ والزلل، وحفظاً من مضلات الفتن.

«الـذي هـو عصمة أمري» أي؛ ما أعتصم به في جميع أموري من الشـر والفتن. والعصمة: المنع والحفظ.

قال القرطبي: «أي؛ رباطه وعماده، والأمر يعنى الشـأن، ومعنى هذا، أن الدين إن فسد، لم يصلح للإنسان دنيا ولا آخرة، فحق على كل سامع له أن يحفظه ويدعو به آناء الليل والنهار، لعله يوافق ساعة إجابة، فيحصل على خير الدنيا والآخرة.

«وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي» أي؛ مكان عيشي وزمان حياتي.

أي؛ بإعطـاء الكفاف كيما يحتاج إليه وبأن يكـون حلالاً ومعيناً على طاعة الله وعبادته على الوجه الذي ترضاه مني، وأسألك صلاح الأهل من الزوجة الصالحة، والذرية، والمسكن الهنيء والحياة الآمنة الطيبة.

«وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي» أي؛ مكان عودي، أو زمان إعادتي باللطف والتوفيق على العبادة والإخلاص في الطاعة وحسن الخاتمة.

قال في فيض القدير: «قد جمع في هذه الثلاثة: صلاح الدنيا، والدين، والمعاد، وهي أصول مكارم الأخلاق الذي بعث ﷺ لإتمامها، فاستقى من هذا اللفظ الوجيز صلاح هذه الجوامع الثلاث التي حلت في الأولين بداياتها، وتمت غاياتها».

«واجعل الحياة» أي؛ طول عمري.

«زيادة لي في كل خير» أي؛ من إتقان العلم وإتقان العمل.

«واجعل الموت راحة لي من كل شر» أي؛ من الفتن والمحن والابتلاء بالمعصية والغفلة، ومحصل آخر هذا الدعاء: اجعل عمري مصروفاً فيما تحب، وجنبني ما تكره وهو من الأدعية الجوامع. وطلب الراحة بالموت إشارة إلى قوله ﷺ: «إذ أردت فتنة في قوم، فتوفني غير مفتون».

وهذا الحديث؛ من الأدعية الجوامع، فإن الله ـ تعالى ـ إذا وفق العبد للقيام بآداب الدين، ورزقه من الحلال كفافاً، ووفقة للإخلاص، وحسن الخاتمة، وأطال عمره على طاعته، ووقاه من الفتن، فقد حصل له سعادة الدنيا والآخرة.

وفي الحديث: أن الحرص على الدعاء والتذلل لله ـ عزوجل ـ من أسباب حفظه ورعايته وكلاءته.

وفيه: الدعاء بأن يجعل الله ـ عز وجل ـ العمر مصروفاً فيما يحب.

١٤٧٣ ـ وَعنْ علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ، قَالَ: قال لي رَسُولُ الله ﷺ: «قُلْ: اللهمَّ اهْدِني، وَسدِّدْني».

وَفي رِوَايةٍ: «اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدى، وَالسَّدَادَ» [رواهُ مسلم].

❀ في الدعاء والتضرع إلى الله ـ عز وجل ـ معنى عظيم من أنواع العبودية، وتخليص القلب وتفريغه من التعلق بغيره ـ سبحانه ـ، والدعاء من أكرم الأشياء عند الله ـ تعالى ـ.

وقد أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث؛ في باب فضل الدعاء.

وفي الحديث؛ عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال لي رسول الله ﷺ:

«قل اللهم أهدني» الهداية: هي الدلالة والرشاد في الأمر.

«وسددني» أي؛ وفقني واجعلني منتصباً في جميع أموري، مستقيماً موفقاً للصواب في قولي وفعلي وعقيدتي.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠﴾ أي؛ صواباً ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١ ـ ٧١].

ذكر ـ تعالى ـ في القول السديد فائدتين:

الأولى: صلاح الأعمال.

والثانية: مغفرة الذنوب.

وفي رواية:

«اللهم إني اسألك الهدى» أي؛ الرشاد.

«والسداد» أي؛ الاستقامة وحسن القصد، وتقويمه على السنة.

وفيه معنى قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ أي؛ هداية لا أميل بها إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط.

وفي مسلم زيادة: «واذكر بالهدى هدايتك الطريق، وبالسداد سواء السهم» أي؛ تذكر في حال دعائك بهذين اللفظين؛ لأن هادي الطريق لا يزيغ عنه، وسدد لهم يحرص على تقويمه، ولا يستقيم رميه حتى يقومه؛ فكذا الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد عمله، وتقويمه، ولزومه السنة، وقيل: ليتذكر بهذا اللفظ الهدى والسداد؛ لئلَّا ينساه.

قال القرطبي: «ينبغي على الداعي أن يهتم بدعائه، فيستحضر معنى دعواته في قلبه، ويبالغ في ذكرها بلفظه بضرب الأمثال وتأكيد الأقوال؛ فإذا قال: اهدني الصراط المستقيم وسددني سداد السهم الصائب، كان أبلغ من قوله: اهدني وسددني فقط».

وفي الحديث: استحباب الدعاء بذه الكلمات الجامعة للتوفيق والرشاد.

وفيه: أن على المسلم أن يحرص على تسديد عمله وتقويمه ولزومه السنة.

وفيه: عظم فقر العبد إلى الله ـ عز وجل ـ وشدة حاجتهم إليه ـ جل وعلا ـ.

وفيه: أنه يجب على العبد الاستعانة بالله في جميع أموره.

١٤٧٤ ـ وَعَنْ أَنَس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: يَقُولُ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعجْزِ والكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا وَالمَمَاتِ».

وفي رِوايَةٍ: «وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

❋ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد جملة من الأحاديث في باب الأمر بالدعاء وفضله.

وفي هذا الحديث؛ عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقول:

«اللهم إني أعوذ بك من العجز» أي؛ عدم القدرة على الخير.

«والكسل» عدم الإرادة. أي؛ التثاقل عن الفعل مع القدرة عليه.

والعجز والكسل قرينان، وهما مفتاح كل شر؛ فإذا تخلف مصلحة العبد وكماله ولذته وسروره منه؛ أما أن يكون مصدره عدم القدرة فهو العجز، أو يكون قادراً عليه لكن تخلف لعدم إرادته؛ فهو الكسل، وصاحبه يلام عليه ما لا يلام على العجز. وقد يكون العجز ثمرة الكسل فكثيراً ما يكسل المرء عن الشيء الذي هو قادر عليه وتضعف عنه إرادته، فيفضي به العجز عنه.

قال ابن القيم: «الإنسان مندوب إلى استعاذته بالله ـ تعالى ـ من العجز والكسل، فالعجز عدم القدرة على الحيلة النافعة، والكسل عدم الإرادة لفعلها، فالعاجز لا يستطيع الحيلة، والكسلان لا يريدها».

قال النووي: «هو عدم انبعاث النفس بخير وقلة الرغبة فيه مع إمكانه»

«والجبن» هو الخوف وضعف القلب، وهو أن يمتنع الإنسان عن فعل ما ينبغي عليه فعله خوفاً على نفسه؛ واستعاذه النبي ﷺ منه لما فيه من التقصير بحقوق الله وإزاله المنكر والإغلاظ على العصاة، ولأن بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصرة المظلوم والجهاد فهو ضد الشجاعة».

«والهرم» أي؛ الشيخوخة والكبر والضعف، والمراد به صيرورة الرجل

خرفاً من كبر السن، بحيث لا يميز بين الأمور المعتدلة المحسوسة والمعقولة، والعجز عن كثير من الطاعات والتساهل في بعضها.

«**والبخل**» وهو؛ منع أداء ما يطلب أداؤه. وهو ضد السخاء.

«**وأعوذ بك من عذاب القبر**» أي؛ العذاب الكائن فيه.

وفي الحديث: «**القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن حسن فما بعده أحسن، وإن قبح فما بعده أقبح**» [رواه الترمذي]. وعذاب القبر ينشأ عن فتنته: أي سؤال الملكين فيه.

«**وأعوذ بك من فتنة المحيا**» من فتن الشبهات والشهوات.

«**والممات**» قيل فتنة القبر، وقيل فتنة الاحتضار. وأضيفت الفتنة إلى الموت لقربها منه.

قال ابن بطال: «هذه «أي المحيا والممات» كلمة جامعة لمعان كثيرة، وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه ـ تعالى ـ في رفع ما نزل، ودفع ما لم ينزل، ويستشعر الافتقار إلى ربه ـ عز وجل ـ في جميع ذلك».

وفي رواية: «**وضلع الدين**» أي؛ ثقل الدين وشدته، بحيث لا يجد من يجد عليه الدين وفاءه ولا سيما مع المطالبة. قال بعض السلف: «ما دخل هم الدين قلباً إلا ذهب من العقل ما لا يعود إليه».

«**وغلبة الرجال**» شدة تسلطهم. وفيه إشارة إلى المتعوذ منه أن يكون مظلوماً أو ظالماً.

والقهر الذي ينال العبد نوعان:

الأول: قهر بحق وهو ضلع الدين.

والثاني: قهر بباطل؛ وهو غلبة الرجال. واستعاذ النبي ﷺ من نوعي القهر.

وهذا الحديث من جوامع الكلم. لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسية، وبدنية، وخارجية؛ والحديث مشتمل على الاستعاذة منها جميعاً.

وفي الحديث: فضل الأدعية في حفظ المسلم.

وفيه: إثبات عذاب القبر، ووجوب التعوذ من فتنته.

١٤٧٥ ـ وَعن أَبي بكْرٍ الصِّدِّيق ـ رَضِيَ الله عَنْه ـ، أَنَّه قَالَ لِرَسول الله ﷺ: عَلِّمني دُعَاءً أَدعُو بِه في صَلاتي، قَالَ: «قُلْ: اللهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي ظُلْماً كثيراً، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً من عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم» [متَّفَقٌ عليه].

وفي رواية: «وَفي بيْتي» وَرُوي: «ظُلْماً كَثيراً» وروِيَ «كَبيراً» بِالثاءِ المثلثة وبِالباءِ الموحدة، فَيَنْبغِي أَن يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَيُقَالُ: كَثيراً كَبيراً.

كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يسألون النبي ﷺ عن كل أمر يقربهم إلى الله ـ عز وجل ـ، وفي هذا الحديث؛ أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال لرسول الله: (علمني دعاء أدعو به في صلاتي) وفي رواية (وفي بيتي).

قال ﷺ:

«قل: اللهم إني ظلمت نفسي» هذا اعتراف من العبد إلى ربه بالتقصير.

والظلم؛ وضع الشيء في غير موضعه، وظلم الإنسان نفسه: هو تركها مع هواها حتى يصدر عنها من المعاصي ما يوجب عقوبتها. وأعظم الظلم وأشده الشرك بالله، ويندرج تحته الذنوب الكبيرة والصغيرة.

«ظلماً كثيراً» وهذا اعتراف من العبد بالظلم وهو من وسائل الدعاء، أن يذكر الإنسان حاله لربه ـ عز وجل ـ فمن الدعاء كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

وفي قوله «ظلماً كثيراً» أكده بالمصدر، ووصفه زيادة في التذلل والخضوع للمولى ـ سبحانه وتعالى ـ.

وروي «كبيراً» قال ابن تيمية: «الأحسن أن يؤتى بالدعاء على إحدى الروايتين، ويعاد ثانياً باللفظ الآخر».

«ولا يغفر الذنوب إلا أنت» غفران الذنوب: هو ستـرها بالتوبة منها، أو بالعفو عنها. مأخوذ من المغفر الذي يوضع على رأس المحارب لحمايته من الضرب، فهو وقاية وحماية.

والغفور: اسم من أسماء الله الحسنى العظيمة، وهو من أبنية المبالغة؛ لأنه يفعل ذلك بعباده مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى.

والمعنى: الذي يكثر منه ستر الذنوب لعباده المؤمنين، والتجاوز عنها، وفيه الإقرار بالوحدانية الله ـ تعالى ـ، واستجلاب المغفرة منه.

وهذا ثناء على الله ـ عز وجل ـ واعتراف بالعجز وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله.

«فاغفر لي مغفرة» أي؛ غفراناً. ودل التنكير على أن المطلوب غفران عظيم.

«من عندك» أضافها إلى الله؛ لأنها تكون أبلغ وأعظم، فإن عظم العطاء من عظم المعطي. يريد بذلك التعظيم؛ لأن ما يكون من عند الله ومن لدنه لا يحيط به وصف واصف.

قال القرطبي: «أي تفضلاً من عندك وإن لم أكن لها أهلاً، وإلا فالمغفرة والرحمة كل شيء من عنده ـ تعالى ـ وقد أكد ذلك بقوله: «إنك أنت الغفور الرحيم».

وفيه إشارة إلى طلب مغفرة متفضل بها لا يقتضيها سبب من العبد من عمل حسن ولا غيره.

«وارحمني» في المستقبل ووفقني لكل خير.

«إنك أنت الغفور» أي؛ لأنك كثير المغفرة والرحمة، لا لأني استحق ذلك، وهذا توسل إلى الله ـ عز وجل ـ باسمين مناسبين للدعاء.

«الرحيم» اسم من أسماء الله الحسنى، الدالة على كثرة الرحمة، والتعطف لعبادة المؤمنين. وفيه توسل إلى الله ـ عز وجل ـ بأسمائه الحسنى.

قال الكرماني: «هذا الدعاء من الجوامع؛ لأن فيه الاعتراف بغاية التقصير، وطلب غاية الإنعام، فالمغفرة بستر الذنوب ومحوها، والرحمة إيصال الخيرات، ففي الأول طلب الزحزحة عن النار، وفي الثاني طلب إدخال الجنة وهذا هو الفوز العظيم».

قال القرطبي: «إنما خص الصلاة لأنها بالإجابة أجدر، وقد استحب بعض العلماء أن يدعى بهذا الدعاء في التشهد قبل التسليم، والصلاة كلها عند علمائنا محل الدعاء. وغير أنه يكره في الركوع، وأقربه للإجابة السجود».

وفي الحديث: استحباب الدعاء بهذه الدعوات التي علمها النبي ﷺ لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

وفيه: أن الإقرار بالذنب والاعتراف بغاية التقصير مدعاة للإنابة واستجلاب المغفرة بالتوبة.

وفيه: أنه يستحب الدعاء بهذا الدعاء قبل السلام.

١٤٧٦ ـ وَعَن أَبي موسَى ـ رضيَ اللهُ عَنْه ـ، عَن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه كَانَ يَدعُو بهَذا الدُّعَاء: «اللهمَّ اغْفِر لي خَطيئَتي وجهْلي، وإسْرَافي في أَمْري، وما أَنْتَ أَعلَم به منِّي، اللهمَّ اغفِرْ لِي جدِّي وَهَزْلي، وَخطئي وَعمْدي، وَكلُّ ذلكَ عنْدي، اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ منِّي، أَنْتَ المقدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأنْتَ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَديرٌ» [متفقٌ عليه].

❊ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب الدعوات.

عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء تعليماً لأمته واستغفاراً من ترك الأولى، أو قال ﷺ تواضعاً لربه أو عما كان منه من سهو. قال ﷺ:

«اللهم اغفر لي خطيئتي» أي؛ ذنبي.

«وجهلي» أي؛ ما صدر مني من أجل جهلي، وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧].

قال البغوي: «أجمع السلف على أن من عصى الله فهو جاهل».

«وإسرافي في أمري» أي؛ مجاوزتي عن الحد.

«وما أنت أعلم به مني» أي؛ من المخالفات والسيئات، ثم يحتمل أن يراد بهذين الأمرين ما قبلهما فيكون إطناباً، وأن يراد بهما ما يعمله وغيره من المكروهات وخلاف الأولى، فيكون من عطف العام على الخاص.

قال ابن عثيمين: «وهذا يغني عنه كلمة واحدة: **«اللهم اغفر لي ذنبي كله»** لكن التفصيل في أمر الدعاء أمر مطلوب؛ لأنه يؤدي إلى أن يتذكر الإنسان كل ما عمل، مما أسر وأعلن، وما علم وما لم يعلم؛ لأنه كلما أكثر من السؤال لله ـ عز وجل ـ ازداد تعلقاً بالله ومحبة له وخوفاً منه، ورجاءً؛ فلذلك كان النبي يفصل فيما يسأل ربه ـ عز وجل ـ من مغفرة الذنوب وغير ذلك».

«اللهم اغفر لي جدي» أي؛ ما أفعله من المخالفات عن طريق الجد، ـ بكسر الجيم ـ أي الاجتهاد في عمله.

«وهزلي» ضد ما قبله.

«وخطيئتي وعمدي» الخطأ نقيض الصواب، والخطأ الذنب.

«وكل ذلك عندي» أي؛ المذكور من الأمور موجود ممكن، قاله ﷺ تواضعاً لربه وهضماً لنفسه. وفيه إقرار من العبد لربه بكثرة الذنوب.

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: «عد فوات الكمال وترك الأولى ذنوباً، وحاصله أن حسنات الأبرار سيئات المقربين».

«اللهم اغفر لي ما قدمت» من عمري، وقيل ما حصل وتقدم على هذه الصلاة.

«وما أخرت» أي؛ من الذنوب بعد هذا الدعاء، أو بعد هذه الصلاة.

«وما أسررت» أي؛ ما فعلته مخفياً له عن أعين الناس.

«وما أعلنت» أي؛ أظهرت وما عملته علناً.

«وما أنت أعلم به مني» من ذلك أو منه ومن غيره بأن خلاف الاتصاف بشيء ما ذكر. لأن الإنسان قد يعمل السيئة والخطيئة ويعرف أنه عملها، فيستغفر منها، وقد يقع في معاصي لا يشعر بها ولا يعلمها وقد يظنها حسنات. مثل الشرك الخفي الذي لا ينتبه له أو يفوت عليه.

«أنت المقدم» أي؛ من تشاء إلى الجنة التوفيق للعمل الصالح.

قال النووي: «أنت المقدم» يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه، ويؤخر من يشاء لمن ذلك بخذلانه».

«وأنت المؤخر» من تريد إلى النار بالخذلان.

«وأنت على كل شيء قدير» لا يعجزك شيء.

وفي الحديث: تواضع النبي وخضوعه لربه ـ عز وجل ـ.

وفيه: أن العبد لا يخلو من تقصير، فينبغي أن يكون دائم التضرع والتذلل وكثرة الدعاء لله ـ عز وجل ـ.

وفيه: المبادرة إلى التوبة وتحقيق شروطها، وعدم الغفلة عن الدعاء والإكثار منه.

وفيه؛ استحباب الدعاء بهذا الدعاء الجامع.

١٤٧٧ ـ وعن عَائِشَةَ ـ رَضِيَ الله عَنهَا ـ، أَنَّ النَّبِي ﷺ كَانَ يقُولُ في دُعَائِهِ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما عمِلْتُ ومِنْ شَرِّ ما لَمْ أَعْمَلْ». [رَوَاهُ مُسْلِم].

❀ الإنسان ضعيف يحتاج إلى من يحفظه ويكلأه، ويعينه على شهوات النفس ونزعات الشيطان، ومن توحيد العبادة أن لا يلجأ الإنسان إلى حجر أو شجر أو قبر أو ولي؛ بل يكون دعاءه لله خالصاً، ورجائه منه وحده لا شريك له.

ولا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد جملة من الأحاديث النبوية في باب فضل الدعاء والحث عليه.

وفي هذا الحديث؛ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه:

«اللهم إني أعوذ بك» أي؛ ألتجئ، وأعتصم بجنابك.

«من شر ما عملت» أي؛ من السيئات.

قال النووي: «معناه: من شر ما أكتسبته، مما قد يقتضي عقوبة في الدنيا أو يقتضي في الآخرة، وإن لم أكن قصدته، ويحتمل أن المراد تعليم الأمة».

«ومن شر ما لم أعلم» أي؛ من الحسنات، أي من شر تركي العمل بها، أو المراد من شر ما لم أعمله يقدمن السيئات والآثام، بأن تحفظني منه في المستقبل، ومن كل عمل لا يرضيك أو جلب غضبك، وتضمنت هذه الاستعاذة: الاستعاذة من كل الشرور والذنوب الحالية والمستقبلية.

قال القرطبي: «قد يعمل الإنسان العمل لا يقصد به إلا الخير، ويكون في باطن أمره شرّاً لا يعلمه، فاستعاذ منه، ويؤيد هذا أنه روي في غير كتاب مسلم ـ «من شر ما علمته وشر ما لم أعلم» ويحتمل أن يريد به ما عمل غيره فيما يظن أن يقتدي به فيه».

قال ابن علان: «استعاذ ﷺ من أن يعمل في المستقبل من الزمان ما لا يرضاه الله ـ تعالى ـ، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون».

وقيل: «استعاذ من أن يصير معجباً بنفسه في ترك القبائح، وسأل أن يرى ذلك من فضل الله عليه لا بحوله ولا قوته، وهذا تعليم منه ﷺ لأمته، وأداء لحق الربوبية، وتواضعاً لله ـ عز وجل ـ».

وفي الحديث: الاستعاذة بالله ما شر ما وقع من الذنوب ومن شر ما يمكن أن يقع: لأن في ذلك صدق العبودية لله وترك العجب والتكبر.

وفيه: تعليم النبي ﷺ أمته ما ينفعهم ويرفعهم.

١٤٧٨ ـ وعَن ابن عُمَر ـ رَضيَ الله عَنْهُما ـ قَالَ: كانَ منْ دُعاء رسُول الله ﷺ «اللهـمَّ إنِّـي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِك، وَتَحَـوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجميعِ سَخَطِكَ» [رواهُ مُسْلِمٌ].

❊ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من الأدعية النبوية في باب فضل الدعاء.

وفي هذا الحديث عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال:

كان من دعاء النبي ﷺ:

«اللهم إني أعوذ بك» أي؛ التجئ إليك.

«من زوال نعمتك» أي؛ زوال ما أعطيتني من النعم الدينية أو الدنيوية النافعة في الأمور الأخروية؛ وأعظمها وأجلها نعمة الإسلام.

قال المناوي: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك» أي؛ ذهابها، ويعم النعم الظاهرة والباطنة، والاستعاذة من زوال النعم تتضمن الحفظ من الوقوع في المعاصي لأنها تزيلها».

والنعمة: كل ملائم تحمد عاقبته.

«وتحول عافيتك» التحول: إبدال الشيء بالشيء أي؛ تبدل ما وهبتني من الصحة والعافية إلى الضعف والمرض، والأسقام، فكأنه سأل دوام العافية، وهي السلامة من الآلام والأسقام ومن العافية إلى البلاء. والاستعاذة بالله من تحول العافية مطلب؛ لأن بزوالها تسوء عيشة العبد، فلا يستطيع القيام بأمور دنياه ودينه وما قد يصاحبه من التسخط وعدم الرضا وغير ذلك.

«وفجاءة نقمتك» أي؛ مباغتتي بالعقوبة؛ وبغته من غير تقدم سبب، وخص فجاءة النقمة بالاستعاذة؛ لأنها أشد من أن تصيبه تدريجياً بحيث لا تكون فرصة للتوبة.

والنقمة: العقوبة، ومنه ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥] أي؛ يعاقبه.

وقد تضمنت هذه الاستعاذة التوفيق لشكر النعم، والحفظ من الوقوع في المعاصي؛ لأنها تزيل النعم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

قال الطيبي: «فإن قلت: ما الفرق بين الزوال والتحول؟ قلت: «الزوال» يقال في شيء كان ثابتاً في شيء ثم فارقه، و(التحول) تغير الشيء وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغير قيل: حال الشيء تحول تحولاً، وباعتبار الانفصال قيل: حال بيني وبين كذا، وحولت الشيء فتحول: غيرته إما بالذات أو بالحكم، فمعنى زوال النعمة: ذهابها من غير بدل، وتحول العافية، إبدال الصحة بالمرض والسلامة بالبلاء».

«وجميع سخطك» السخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به. أي؛ أسباب غضبك أي؛ سائر الأسباب الموجبة لذلك، وإذا انتفت أسبابها حصلت أضدادها. إجمالاً بعد تفصيل.

وفي الحديث: استحباب الاستعاذة بالله من زوال النعم، وتبدل العافية، والمباغتة بالعقوبة، ومن جميع أسباب غضبه ـ سبحانه ـ.

وفيه: استعمال النعم والعافية فيما يرضى الله ـ عز وجل ـ ليكون سبباً في حفظها.

وفيه: من البلاء زوال النعمة الكلية، أو استبدالها بنقمة.

وفيه: أن زوال النعمة فجأة وبغته أشد من زوالها بالتدريج، فإن زوال النعمة فجأة دليل على شدة الطغيان، ومقدمة لمزيد الخذلان، وأما التدرج ففيه تنبيه للعبد أن يحاسب نفسه ويصلح ما بينه وبين ربه، فهو تلطف من الله بالعبد ليتوب وينيب إليه.

١٤٧٩ ـ وَعَنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَم ـ رضِيَ الله عَنْهُ ـ، قَالَ: كَانَ رَسُــولُ الله ﷺ يقولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُـوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَـلِ، والبُخْلِ وَالهَرَمِ، وعَذَابِ القَبْرِ، اللهمَّ آتِ نَفْسِــي تَقْوَاهَــا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْــتَ وليُّهَا وَموْلاَهَا، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِنْ عِلمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ قَلْبٍ لاَ يخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشبَعُ، ومِنْ دَعْوةٍ لا يُسْتجابُ لهَا» [رواهُ مُسْلِمٌ].

❊ لا يــزال المؤلــف ـ رحمــه الله تعالى ـ يورد جملــة من الأدعية النبوية.

وفي هذا الحديث؛ عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال:

(كان رسول الله ﷺ يقول) أي؛ لنفسه ومعلماً لأمته.

«اللهم إني أعوذ بك» أي؛ التجئ إليك.

«من العجز» هو عدم القدرة على فعل الشيء.

«والكسل» التثاقل عن الفعل مع القدرة عليه.

قال ابن القيم: «الإنسان مندوب إلى الاستعاذة بالله من العجز والكسل، فالعجــز عدم القدرة على الحيلة النافعة، والكســل عــدم الإرادة لفعلها، فالعاجز لا يستطيع الحيلة، والكسلان لا يريدها».

«والبخل» وهو منع ما يجب بذله. واستعاذة النبي ﷺ من البخل لما فيه من التقصير عن إداء الواجبات من حقوق المال والجود والكرم.

«والهرم» كبر السن المؤدي إلى ضعف القوى.

«وعذاب القبر» أي؛ العذاب الكائن فيه.

«اللهم آت» أي؛ أعط. دعاء وطلب من الله ـ عز وجل ـ.

«نفســي تقواهــا» أي؛ امتثال الأوامر واجتناب النواهــي، وأضيف إليها للملابســة، وقيل معنى «آتها تقواها»: أي؛ وفقها بإلهام القيام بها، وقيل

الأولى تفسير التقوى بما يقابل الفجور، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨].

«وزكها» أي؛ طهرها من الرذائل.

«أنت خير من زكاها» أي؛ لا مزكي لها إلا أنت لأنك القادر على ذلك، وغيرك لا قدرة له البتة.

ولفظة «خير» ليست للتفضيل، بل معناه لا يزكي لها إلا أنت، كما قال:

«أنت وليها» أي؛ المتولي أمرها.

«ومولاها» أي؛ مالكها وسيدها.

«اللهم أني أعوذ بك من علم لا ينفع» أي؛ من علم لا نفع فيه لأحد. علم لا أعمل به ولا أعلمه.

قال الطيبي: «العلم الذي لا ينفع هو الذي لا يهذب الأخلاق الباطنة فيسري منها إلى الأفعال الظاهرة ويحوز بها الثواب الأكمل».

«ومن قلب لا يخشع» أي؛ عند ذكر الله ـ تعالى ـ وسماع كلامه، وهو القلب القاسي. والقلب يطلب منه أن يكون خاشعاً لبارئه، منشرحاً لمراده صدره، متأهلاً لقذف النور فيه، فإن لم يكن كذلك كان قاسياً فيجب أن يستعاذ منه، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ [الزمر: ٢٢].

وفي قرن الاستعاذة من علم لا ينفع بالقلب الذي لا يخشع؛ إشارة إلى أن العلم النافع ما أوردت الخشوع لله ـ تعالى ـ.

«ومن نفس لا تشبع» أي؛ من جمع حطام الدنيا، وللحرص الباعث على ذلك.

وقيل: يحتمل أن معناه ما ذكر من كونها لا تفتر عن الجمع حرصاً، وأن معناه النهمة وكثرة الأكل؛ فالنفس إذا كانت منهومة لا تشبع حريصة على الدنيا كانت اعدى أعداء المرء.

«ومن دعوة، لا يستجاب لها» أي؛ من مقتضيات رد الدعوة، وعدم إجابتها من الطرد والمقت. وفقد شروط الاستجابة أو لسوء بالداعي، أو لعدم حسن ظنه بربه بالإجابة، أو دعوة لا يحبها الله لما فيها من سوء أو قطيعة رحم؛ فإن الله ـ تعالى ـ سميع قريب مجيب كريم، لا يرد من دعاه لسعة كرمه وجوده وقربه من سائليه، فمن رد دعاؤه فقد خاب وخسر.

وفي الحديث: الاستعاذة بالله من العجز والبخل والهرم وعذاب القبر.

وفيه: طلب العون والتوفيق من الله ـ عز وجل ـ والذل والخضوع بين يديه لحفظه وكنايته مما يخاف منه ويحاذر.

وفيه: أن السجع المذموم في الدعاء هو المتكلف؛ فإنه يذهب الخشوع والخضوع، والإخلاص.

وفيه: الحث على التقوى، وطلب العلم، والعمل به.

وفيه: على طالب العلم النافع لدينه ودنياه، أن يهجر ما لا فائدة فيه، وأن يرضى بالقناعة.

١٤٨٠ ـ وَعن ابن عبَّاس ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وعلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإِلَيْكَ حَاكَمْتُ. فاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وما أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ».

زادَ بعْضُ الرُّوَاةِ: «ولا حَولَ ولا قوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ» [متفقٌ عليهِ].

الدعاء هو العبادة؛ وفي هذا الدعاء العظيم التأسي بالنبي ﷺ في الدعاء بهذه الكلمات الجامعة لمعاني الخير التي تعبر عن صدق الإيمان وغاية اليقين. ففي الدعاء الاستسلام لحكم الله وأمره.

قال ﷺ:

«اللهم لك أسلمت» أي: لك انقدت واستسلمت لحكمك وأمرك.

«وبك آمنت» آمنت بوحدانية الله وبربوبيته وبكتابه ونبيه ﷺ.

«وعليك توكلت» فوضت أموري كلها إليك.

والتوكل: هو اعتماد القلب على الله ـ عز وجل ـ في جلب المصالح الدينية والدنيوية، ودفع المضار الدينية والدنيوية، مع الثقة به، مع بذل الأسباب المشروعة أو المباحة. قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ [المائدة: ٢٣].

لا على غيره، فهو أجمع أنواع العبادة، وأعلى مقامات التوحيد، وأعظمها وأجلها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، فإنه إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل من سواه صح إخلاصه ومعاملته مع الله، ولذلك أمر الله به في غير آية من كتابه، بأن جعل شرطاً للإيمان والإسلام، كما أمر به في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤] فدل على انتفاء الإيمان والإسلام.

قال ابن القيم: «التوكل: نصف الدين، والنصف الثاني (الإنابة) فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل وكثرة حوائج العالمين، وعموم التوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، والطير، والوحش، والبهائم».

«**وإليك أنبت**» أي: اقبلت بعباداتي وطاعتي لك، وأعرضت عما سواك.

«**وبك خاصمت**» أي: بك أحاجّ وأدافع، وأقاتل أعداءك بالحجة والبيان، والسيف والسنان بما وهبتني من علم وقوة وشجاعة وحجة.

«**وإليك**» أي؛ بما أنزلت من الكتاب والوحي.

«**حاكمت**» أي؛ أتحاكم إلى غير شرعك ولا أرضى حكماً إلا بكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ.

«**فاغفر لي ما قدمت وما أخرت**» اغفر لي ذنوبي في الماضي والمستقبل.

«**وما أسررت وما أعلنت**» واغفر لي ما ظهر من ذنوبي وما خفي وما أضمرته من خطرات ووساوس.

«**أنت المقدم**» أي؛ أنت سبحانك الموفق لعبيدك الصالحين في تقدمهم للخير.

«**وأنت المؤخر**» تؤخر من تشاء من غير المتقين عن الفوز والنجاة.

«**لا إله إلا أنت**» ولا إله غيرك.

قال عمير بن حبيب: «إن للإيمان زيادة ونقصاناً، قيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله ـ عز وجل ـ وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه».

وفي الحديث: فضل الدعاء بهذا الدعاء العظيم.

١٤٨١ ـ وَعَــن عَائشَــةَ ـ رَضيَ الله عَنْهَــا ـ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَدعو بهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: «اللهُمَّ إني أَعوذُ بِكَ من فِتنةِ النَّارِ، وعَذَابِ النَّارِ، وَمن شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ» [رَوَاهُ أَبو داوُد، والترمذيُّ وقال: حديث حسن صحيح، وهذا لفظُ أَبي داود].

❊ أورد المؤلــف ـ رحمه الله تعالى ـ جملــة من الأحاديث في باب فضل الدعاء.

وفي هذا الحديث؛ عن عائشـــة ـ رضـــي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات:

«اللهم إني أعوذ بك» أي؛ التجئ إليك.

«مــن فتنة النار» الفتنة: الامتحــان والاختبار. أي؛ الفتنة التي تؤدي إلى دخول النار، ومن الابتلاء بها.

«وعذاب النار» أي؛ بالإحراق بعد فتنتها.

«ومن شر الغنى» أي؛ الشر المرتب عليه. وقيد الاستعاذة بالشر؛ لأن فيه خير باعتبار، وشر باعتبار آخر.

لأن الغنى يورث الشره في جمع المال من الحلال والحرام، ويصل بالإنسان إلى الشح والكبر والترف، والطغيان والتفاخر، والاستعلاء وصرف المال في المحرمات.

قــال الطيبي: «المراد به فقر النفس الذي لا يســتغني ولــو ملك الدنيا بحذافيرها».

«والفقر» أي؛ من الشر المرتب عليه.

لأن الفقر قــد يوقع الإنســان فــي اليأس والضجر والتبــرم مــن القدر، وكذلك الحســد علــى الأغنياء والطمع فــي أموالهــم، والتــذلل لهم بما يتدنــس بــه عرضــه، وينثلم به دينه، وعــدم الرضا بما قســم الله، وقــد يدفع إلى التورط بعظائم الأمور بما لا يليــق بأهل الديــن والمروءة، كالزنى

والقتل والسرقة والحرابة؛ إلى غير ذلك مما لا يحمد عاقبته.

قال القاضي عياض: «ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي عوفي منها وعصم؛ إنما فعله ليلتزم خوف الله ـ تعالى ـ وإعظامه والافتقار إليه، ولتقتدي به أمته، وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه».

قال المناوي: «إذا تمنى أحدكم خيراً من خير الدارين فليكثر الأماني، فإنما يسأل ربه الذي رباه، وأنعم عليه وأحسن إليه، فليعظم الرغبة ويوسع المسألة».

وقال ابن القيم: في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله ـ تعالى ـ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله ـ تعالى ـ».

وفي الحديث: الخوف من النار، والحذر من مقارفة المعاصي والذنوب.

وفيه: التحذير من فتنة الغنى والفقر، وأن الإنسان يتراوح بينهما.

وفيه: البعد عن الفتن المسببة للابتلاء بالنار.

وفيه: الاستعاذة بالله ـ عز وجل ـ من هذه الأمور، وسؤال الله العافية بهذا الدعاء العظيم.

١٤٨٢ ـ وعَـــن زياد بْن علاقَةَ عن عمِّه، وهو قُطبَةُ بنُ مالك، ـ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ ـ، قَال: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يقُـــولُ: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِـكَ مِن منْكَرَاتِ الأَخلاقِ، والأَعْمَالِ والأَهْواءِ**» [رواهُ الترمذي وقال: حديثٌ حَسَنٌ].

❀ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الدعاء.

وفي هذا الحديث؛ أن النبي ﷺ كان يقول:

«**اللهم إني أعوذ بك**» أي؛ يا الله أجرني واحمني واحفظني.

«**من منكرات**» المنكر: كل فعل تتفق في استقباحه العقول، وتحكم بقبحه الشريعة.

«**الأخلاق**» وهي ســـوء المعاملة مع الخلق. كالعجب، والكبر، والخيلاء، والحســـد، والبغي والتطاول. وكان من دعائه ﷺ: «**اللهم أحسّـنت خَلْقي فحسّن خُلُقِي**» [رواه أحمد].

«**والأعمال**» أي؛ ســـيئات المعاصي، كالزنى، وشرب الخمر، والبطش، والتعدي، والظلم، وسائر المحرمات.

والمراد بالأخلاق: الأعمال الباطنة، والأعمال: الأفعال الظاهر.

«**والأهواء**» المنكرة؛ كالاعتقادات الفاسدة والمقاصد الباطلة.

والأهواء: جمع هوى، وهو هوى النفس وميلها إلى المستلذات والانهماك في الشهوات الباطلة، والاستعاذة كذلك من الزيغ والضلالات الفاسدة.

وزاد الترمذي في رواية:

«**والأدواء**» جمـــع داء. أي؛ الأمراض والأســـقام. أي؛ وأعوذ بك من الأدواء المنكرة كالبرص والجذام.

وقد تضمنت هذه الاستعاذات المهمة من كل الذنوب الظاهرة والباطنة.

قال الحافظ العراقي: «استعاذة النبي ﷺ من هذه الأمور مع أنه مُعاذ منها قطعاً؛ وفائدته: إظهار الخضوع والاستكانة والعبودية والافتقار، وليقتدي به غيره في ذلك ويشرع لأمته».

وفي الحديث: الدعاء والتضرع إلى الله ـ عز وجل ـ بأن يصرف عن العبد منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء.

وفيه: اللجوء إلى الله ـ عز وجل ـ والتذلل إليه ودعاءه لجلب الخير ودفع الشر.

وفيه: الاحتراز من المنكرات والدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة.

١٤٨٣ ـ وعَن شكَل بن حُمَيْد ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَال: قُلْتُ يا رَسولَ الله: عَلِّمْني دُعاءً. قَالَ: «قُلْ: اللهُمَّ إني أعوذُ بكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِن شَرِّ بصَرِي، وَمِن شَرِّ لسَاني، وَمِن شَرِّ قَلبي، وَمِن شَرِّ منِيِّي» [رواهُ أبو داودَ، والترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ].

كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يسألون النبي ﷺ ويحرصون على تلقي العلم، والسؤال عنه.

وفي هذا الحديث؛ الذي أورده المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل الدعاء

سأل شكل بن حميد ـ رضي الله عنه ـ النبي ﷺ أن يعلمه دعاءً ذا شأن يدعو به.

قال ﷺ:

«قل: اللهم إني أعوذ بك» أي؛ التجئ إليك، وأطلب عصمتك وحفظك.

«من شر سمعي» أي؛ بأن أسمع كلام الزور والبهتان، والغيبة وسائر ما حرم الله سماعه، أو أن لا أسمع الحق.

«ومن شر بصري» كي لا أرى شيئاً لا ترضاه من المحرمات؛ وذلك بالنظر إلى عورات الناس؛ أو أهمل النظر في مخلوقات الله ـ عز وجل ـ.

«ومن شر لساني» من التكلم بالباطل أو ما لا يعنيني، أو السكوت عن قول الحق.

«ومن شر قلبي» أعذني من كل شر السيئات في قلبي، كالنفاق، والحسد والحقد، والرياء، وسوء الظن ومن الاعتقادات الفاسدة، ومن حب الدنيا من الشهوات والشبهات، أو بأن أشغله بغير ذكر الله.

«ومن شر منيي» المني؛ ما يخرج من الرجل من ماء بشهوة ولذة، والمراد هنا الفرج، ويكون شره إذا وضعه في غير محله المشروع.

وتخصيص التعوذ من شر هذه الجوارح لما فيها من مناط الشهوة، ومثار اللذة؛ ولأنها أصل كل شر وقاعدته ومنبعه. ولهذا كان التعوذ من شرها.

وفي الحديث: الحث على حفظ الجوارح من سمع وبصر ولسان وفرج، واستعمالها فيما أباح الله.

وفيه: أن المرء مسؤول عن حواسه ومحاسب عليها؛ كما أخبر تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

١٤٨٤ ـ وَعَن أَنس ـ رَضيَ الله عَنْهُ ـ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبرَصِ، وَالْجُنُونِ، والجُذَام، وسّيءِ الأَسْقَامِ» [رَوَاهُ أَبو داود بِإِسنادٍ صحيحٍ].

❊ أورد المؤلف في أحاديث سـابقة جملة من الدعوات النبوية النافعة في باب فضل الدعاء في صلاح فسـاد القلب والأعضاء وأمراض القلوب، وتعوذ النبي ﷺ منها.

وفي هذا الحديث؛ ذكر النبي ﷺ الدعاء وتعوذ من أمراض الأجسام.

في الحديث عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان يقول:

«اللهم أني أعوذ بك من البرص» مرض معروف؛ هو انسداد المسام وانحباس الدم فيتولد عنه ذلك. ويظهر على شكل بياض في الجسد مما يغير الصورة والشكل.

«والجنون» أي؛ زوال العقل وذهابه.

«والجذام» وهو علة تحدث من انتشـار السوداء في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها، وربما انتهى إلى كل الأعضاء وسقوطها عن تقرح؛ وهو من الأمراض المعدية.

واستعاذ النبي ﷺ من هذه الأمراض مع أن في الصبر عليها مزيد الأجر خشية من ضعف الطاقة عن الصبر والوقوع في الضجر، فيفوت به الأجر؛ وعم بعد تخصيص المذكورات الاستعاذة، فقال:

«وسـيء الأسقام» أي؛ قبيحها كالفالج والعمى، وإنما قيدها بسيئها؛ لأن الأمراض مطهرة للآثام مرقاة للأنام مع الصبر، فأراد أن لا يسد باب الأجر خصوصاً، وقد جاء **«أشـد الناس بلاء الأنبياء ثـم الأولياء»** فالنفوذ من جميع الأسقام ليس من دأب الكرام.

قال الطيبي: «الإضافة ليسـت بمعنى من؛ بل هي من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: الأسقام السيئة».

قال في فيض القدير: «واستعاذته ﷺ «من سيء الأسقام» مع دخول الثلاثة «البرص والجنون والجذام» فيها هو من عطف العام على الخاص لكونها أبغض شيء إلى العرب، لما تفسد هذه الأمراض الخلقة، وتورث الآفات والعاهات، ولذا عدوا من شروط الرسالة: السلامة مما ينفر منه الخلق ويشوه الخُلق».

قال التوربشتي: «لم يستعذ بالله من سائر الأسقام؛ لأن منها ما إذا تحامل الإنسان فيه على نفسه بالصبر؛ خفت مؤنته، وعظمت مثوبته مع انصرام أيامه ووشاكه زواله؛ كالحمى، والصداع، والرق، وأمثاله، وإنما استعاذ من القسم الذي تمتد أيامه وتدوم آثاره، فيعظم موقعه في النفوس، وينتهي بصاحبه إلى حالة يفر منها الحميم، ويبعد منها القريب، ويقل دونها المؤانس والمداوي، مع ما يورث من الشين ويفسد من الخلقة، فمنها: الجنون الذي يزيل العقل ويسلب الأمن، فلا يأمن صاحبه القتل، ومنها البرص والجذام، هما العلتان المزمنتان مع ما فيهما من البشاعة وتغيير الصورة وقد اتفق المتعاطون لعلم الطب أنهما معديان».

قال ابن القيم: «وقد جرب أنه من قال: «رب مسني اضر وأنت أرحم الراحمين» سبع مرات ولا سيما مع شدة حاجة العبد وفقره كشف الله ضره».

وفي الحديث: التعوذ من هذه الأمراض.

وفيه: أن هذه الأمراض مفسدة للخلقة والخلق، وتؤدي إلى نفور الخلق من صاحبها.

١٤٨٥ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ، فإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ من الخِيانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطانَةُ» [رواهُ أبو داودَ بإسنادٍ صحيحٍ].

❀ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الدعاء.

فإن من تمام نعمة الله ـ عز وجل ـ على عباده أن ينزل بهم الشدة والضر والحاجة وما يلجئهم إلى توحيده، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحداً سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه، والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان وذوق طعمه؛ ما هو أعظم نعمة من زوال ما نزل بهم من ضر.

قال بعض الشيوخ: إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه فيفتح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحب معه أن يعجل قضاء حاجتي خشية أن تنصرف نفسي عن ذلك؛ لأن النفس لا تريد إلا حظها فإذا قُضي انصرفت.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

كان رسول الله ﷺ يقول:

«اللهم إني أعوذ بك» أي؛ التجئ وألوذ، وأحتمي بجنابك.

«من الجوع» وهو الألم الذي يناله الإنسان من خلو المعدة؛ لأنه يضعف القوى، ويخل بوظائف العبادة.

«فإنه بئس الضجيع» أي؛ المصاحب الذي ينام معك في فراش واحد. استعاذ منه؛ لأنه يمنع استراحة البدن، ويحلل المواد المحمودة بلا بدل، ويشوش الدماغ، ويثير الأفكار الفاسدة، والخيالات الباطلة، ويضعف البدن عن القيام بوظائف العبادات.

وقوله: «بئس» لأنه يمنع استراحة البدن.

«وأعوذ بك من الخيانة» نقيض الأمانة، وهي عدم أداء أمانة الخالق أو المخلوق. لأنها من علامات النفاق. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧].

«فإنها بئست البطانة» أي؛ الخصلة الباطنة.

و«البطانة» ضد الظهارة وأصلها في الثوب، فاتسع فيما يستبطن الرجل من أمره فيجعله بطانة حاله.

قال الطيبي: «خص الضجيع بالجوع؛ لينبه على أن المراد بالجوع الذي يلازمه ليلاً ونهاراً، ومن ثم حرم الوصال، ومثله يضعف الإنسان عن القيام بوظائف العبادات، لا سيما بقيام التهجد، والبطانة بالخيانة؛ لأنها ليست كالجوع الذي يتضرر به صاحبه فحسب، بل هي سارية إلى الغير، فهي وإن كانت بطانة لحاله لكن يجري سريانها إلى الغير مجرى الظهارة».

واستعاذته ﷺ من هذه لتعليم الأمة وإرشادهم للاقتداء ليفوزوا بخير الدارين، أو المراد بالاستعاذة منها طلب الثبات والاستقامة على صفات الكمال في كل حال، والإعلام بأن هذه من الأوصاف الذميمة.

وفي الحديث: التعوذ من الجوع الشديد، ومن اعتياد الخيانة، والاستعاذة بالله منهما.

وفيه: الحض على أداء الأمانة، وكذلك الثبات والاستقامة على مكارم الأخلاق في كل حال.

١٤٨٦ ـ وَعن عليٍّ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ، أَنَّ مُكَاتَباً جاءهُ، فَقَالَ إني عجزتُ عَن كتابتي. فَأَعِنِّي. قالَ: أَلا أُعَلِّمُكَ كَلمات عَلَّمَنيهنَّ رَسُولُ الله ﷺ لَو كانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جبلٍ دَيْناً أَدَّاهُ الله عنْكَ؟ «قُلْ: اللهمَّ اكْفِني بحلالِكَ عَن حَرَامِكَ، وَاغْنِني بِفَضلِكَ عَمَّن سِوَاكَ» [رواهُ الترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ].

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب فضل الدعاء.

فإن الله ـ عز وجل ـ جعل الدعاء من أسباب انشراح الصدر، وزوال الهم والغم ونيل المطلوب، وزوال المرهوب، وتحقيق الآمال والوصول إلى سسعادة الدارين.

وفي هذا الحديث؛ عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً عليه دين أثقله ولزمه، وطلب معونة علي ـ رضي الله عنه ـ.

يعني بلغ وقت أداء مال الكتابة وليس له مال.

(والمكاتبة) المال الذي كاتب به السيد عبده يؤديه إليه فإذا أداه صار حراً.

فقال له: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ.

لو كان عليك مثل جبل ديناً أداه الله عنك، وقضاه وأعانك على تسديده.

أي؛ ببركة تلك الكلمات:

«قل اللهم» أي؛ يا الله.

«اكفني» أي؛ أغنني واجعلني غنيّاً.

«بحلالك عن حرامك» أي؛ اجعله مبعداً لي عن الحرام بالكفاية والقيام بالمآرب.

«واغني بفضلك» غلب في العطايا الدنيوية. أي؛ بما تفيض به علي، وتوصله إلي من الرزق والمال.

«عمن سواك» أي؛ عن فضل من سواك حتى لا أحتاج إلى مخلوق ولا أنزل ضري وحاجتي بعبد.

قال الطيبي: «طلب الكاتب المال فعلمه ـ رضي الله عنه ـ الدعاء؛ إما لأنه لم يكن عنده شيء من المال ليعينه، فرده أحسن رد، عملاً بقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٣] أو أرشد إلى أن الأولى والأصلح أن يستعين بالله لأدائها، ولا يتكل على الغير، وينصر هذا الوجه قوله: «واغنني بفضلك عمن سواك»».

عن عبيد بن أبي صالح قال: دخل علي طاووس يعودني، فقلت له: ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن. فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه».

وفي الحديث: الحث على إعانة المكاتب.

وفيه: جواز المسألة لمن لزمه دين وأثقله حتى يجد ما يكفيه.

وفيه: أن الرزق الحلال وإن قل خير من المال الحرام وإن كان كثيراً.

وفيه: التذكير بالدعاء في النوازل والشدائد والكرب؛ وفي كل حال.

وفيه: الدعاء بهذه الكلمات، لأن بركتها تظهر في وفاء الدين والاستغناء بالله عن الناس وسؤالهم.

١٤٨٧ ـ وعَـنْ عمْرانَ بن الحُصين ـ رَضي الله عنْهُمَا ـ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ علَّم أَبَاهُ حُصيْناً كَلِمتيْنِ يدعُو بهما: «اللهُمَّ أَلهِمْني رُشْـدي، وأَعِذني مِن شَـرِّ نفسي» [رواهُ الترمذيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ].

❁ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الدعاء والحث عليه.

فـإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلـب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة، ثم ثنى بالصلاة على رسـول الله ﷺ ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاسـتغفار، ثم دخل على الله وألح عليه في المسـألة، وتملقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيد، وقدم بين يدي دعاءه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً».

وفي الحديث؛ أن عمران بن الحصين ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ علم أباه حصيناً كلمتين يدعو بهما:

«اللهـم ألهمنـي رشـدي» أي؛ يـا الله ألهمني الهـدى بالتوفيق للأعمال الرضية.

والرشد: هو الضلالة والغي.

والغي؛ هو المعاصي والشر والفساد.

«وأعذني» ألجئني واعصمني واحفظني.

«من شـر نفسـي» من شرور نفسي وأهوائها، المؤدية إلى الهلاك في الدنيا والطرد من رحمة الله في الآخرة؛ لأن النفس أمارة بالسوء.

فشر النفس أحد منابع الشر وأصوله، وطرقه المؤدية إلى الهلاك، إذا لم يعصم الله ـ تعالى ـ العبد منها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

قيل: «النفس لطيفة موضوعة في القالب، منها الأخلاق والصفات المذمومة، كما الروح لطيفة مودعة، منها الأخلاق والصفات المحمودة، وكما أن العين محل الرؤية، والأنف محل الشم، والفم محل الذوق هكذا النفس كل الأوصاف المذمومة والروح محل الأوصاف المحمودة».

قال العلماء: وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية؛ لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال، والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة من غالب معاصي الله ـ سبحانه ـ، فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء.

وفي الحديث: التحذير من شرور النفس، وطلب الهداية والاستقامة والسداد في جميع الأمور.

وفيه: وجوب الاستعاذة من شرور النفس وسيئات الأعمال.

وفيه: كثرة الدعاء والإلحاح على الله ـ عز وجل ـ.

١٤٨٨ ـ وَعَــن أَبي الفَضلِ العبَّاس بنِ عَبْدِ المُطَّلب ـ رضي الله عنْهُ ـ، قال: قُلْتُ يارسول الله: عَلِّمْني شَيْئاً أَسْأَلُهُ الله ـ تَعَالَى ـ، قَالَ: «سَلُوا الله العافِيَةَ». فَمكَثْتُ أيَّاماً، ثُمَّ جِئتُ فَقُلْتُ: يا رسولَ الله: علِّمْني شَيْئاً أَسْأَلُهُ الله ـ تعالى ـ، قَالَ لي: «يَا عبَّاسُ يا عمَّ رَسولِ الله، سَلُوا الله العافيَةَ في الدُّنْيا والآخِرةِ». [رَواهُ الترمذيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ صَحيحٌ].

❃ راوي هـذا الحديث؛ هو أبـو الفضل العباس بن عبد المطلب، عم الرسول ﷺ، كان ـ رضي الله عنه ـ أسن من النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث، ولم يزل معظماً في الجاهلية والإسلام، وكان إليه أمر السقاية في الجاهلية، وأقره رسول الله على ذلك، وحضر ليلة العقبة مع النبي ﷺ وأكد له العقد مع الأنصار، وخرج إلى بدر مع المشـركين مرائياً لها، وأسـر ففادى نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وأسـلم عقب ذلك وعذره ﷺ في الإقامة بمكة من أجل سقايته، وثبت مع النبي ﷺ في حنين حين انهزم الناس. توفي بالمدينة؛ سنة اثنتين وثلاثون للهجرة.

وفي هذا الحديث؛ أنه قال للنبي ﷺ: علمني شيئاً مما ينبغي طلبه أسأل الله ـ تعالى ـ شرفه وعظم نتائجه.

قال ﷺ:

«سـلوا الله العافيـة» وهـي مصدر من عافـاه الله. أي؛ محا عنه الذنوب والأسقام ولا يختص ذلك بالعباس دون الناس.

قال المناوي: «سلوا الله العافية» أي؛ واحذروا سؤال البلاء».

قـال: فمكثـت أيامـاً أي؛ مكتفياً بسـؤالـه العافية ملازماً لـه، ثـم جئت مستزيداً علـى ذلك؛ فقلت: يـا رسول الله: علمني شيئاً أسأله الله ـ تعالى ـ قال لي:

«يا عباس يا عم رسول الله» تلطف بهذا النداء ورفع لقدر عمه ومقامه.

«سلوا» خطاب له ولأهله.

«الله العافية في الدنيا» أي؛ بالسلامة من الأسقام والمحن والآلام والأهواء، في دينك وفي نفسك، وولدك ومالك وما تحب.

والعافية: اسم مصدر من عافاه الله. أي؛ أبعد عنه ما يؤذيه.

والمعافاة: هي أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك. أي؛ يغنيك عنهم ويغنيهم عنك، ويصرف أذاك عنهم، وأذاهم عنك.

«والآخرة» بالعفو عن الذنوب وإنالة المطلوب.

قال المباركفوري: «في أمره ﷺ للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأن يعلمه شيئاً يسأل الله به؛ دليل جلي بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية ولا يقوم مقامه شيء من الكلام الذي يدعى ذو الجلال والإكرام، والعافية هي دفاع الله عن العبد، فالداعي بها قد يسأل ربه دفاعه عن كل ما ينوبه، وقد كان رسول الله ﷺ ينزل عمه العباس منزلة أبيه ويرى له من الحق ما يرى الولد لوالده، ففي تخصيصه بهذا الدعاء وقصره على مجرد الدعاء بالعافية تحريك لهمم الراغبين على ملازمته، وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ، ويستدفعون به في كل ما يهمهم، ثم كلمته ﷺ بقوله: «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة» فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عدة لدفع كل ضر وجلب كل خير، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً».

قال ابن الجوزي: «السعيد من ذل لله وسأل العافية، فإنه لا يوهب العافية على الإطلاق، إذ لا بد من بلاء، ولا يزال العاقل يسأل الله العافية ليتغلب على جمهور أحواله، فيقرب الصبر على يسير البلاء، وفي الجملة ينبغي للإنسان أن يعلم أنه لا سبيل لمحبوباته خالصة، ففي كل جرعة غصص، وفي كل لقمة شجأ. وعلى الحقيقة ما الصبر إلا على الأقدار، وقل أن تجري الأقدار إلا على خلاف مراد النفس، فالعاقل من دارى نفسه في

الصبر بوعد الأجر، وتسهيل الأمر، ليذهب زمان البلاء من غير شكوى، ثم يستغيث بالله ـ تعالى ـ سائلاً العافية».

وفي الحديث: أن الله هو العفو؛ ومنه يطلب ويسأل العفو.

وفيه: حرص الصحابة على الاستزادة من الخير والعلم.

وفيه: تلطف النبي ﷺ بعمه العباس وتعليمه ما ينفعه.

١٤٨٩ ـ وعنْ شَهْرِ بْنِ حوشَبٍ قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ، ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ، يا أُمَّ المؤمنين مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاء رسُول الله ﷺ إذا كانَ عِنْدكِ؟ قَالَتْ: كانَ أَكْثَرُ دُعائِه: «يا مُقلبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قلْبي علَى دِينِكَ» [رَواهُ الترمذيُّ، وقال حَديثٌ حسنٌ].

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب فضل الدعاء. فإن الدعاء من أعظم العبادات، وهو جالب للخيرات، دافع عن الإنسان المضرات والآفات. فيه اللجوء إلى الله والطلب منه وسؤاله، فإنه خير مسؤول.

وفي الحديث؛ عن شهر بن حوشب قال:

قلت لأم سلمة ـ رضي الله عنها ـ:

(يا أم المؤمنين) عدل إليه عن كنيتها تعظيماً وعملاً بالأدب في تعظيم العلماء. وخطابهم بأشرف ألقابهم.

قال: ما أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟

قالت: كان أكثر دعائه وقت كينونته عندي:

«يا مقلب القلوب» أي؛ يا مصرف القلوب ومحولها من الضلال إلى الهدى.

قال ابن حجر: «معناه تقليب قلب عبده عن إيثار الإيمان إلى إيثار الكفر وعكسه».

وقال الراغب: «تقليب الشيء تغييره من حال إلى حال.

والتقليب؛ التصرف، وتقليب القلوب والبصائر صرفها من رأي إلى رأي».

«ثبت قلبي على دينك» وفيه منه ﷺ خضوع لربه وتضرع إليه.

والمعنى: اجعله ثابتاً على دينك، غير مائل عن الدين القويم والصراط المستقيم.

قال البيضاوي: «في نسبه تقلب القلوب إلى الله إشعار بأنه يتولى قلوب عباده ولا يكلها إلى أحد من خلقه».

زاد الترمذي في آخره:

قالت: فقلت يا رسول الله، ما أكثر دعائك: **«يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»**.

فقال: **«يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، من شاء أقام، ومن شاء أزاغ» فقال: «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا»**.

قال ابن بطال: «تقليبه لقلوب عباده صرفه لها من إيمان إلى كفر، ومن كفر إلى إيمان، وذلك كله مقدور لله ـ تعالى ـ وفعل له».

ومن أسباب الثبات على دين الله ـ عز وجل ـ: الالتجاء إلى الله ـ عز وجل ـ بكثرة الطاعة والعبادة، والدعاء، وترك الذنوب والمعاصي والآثام، وكذلك الإقبال على قراءة القرآن وتدبر معانيه، ومن أسباب الثبات مجالسة الصالحين وسماع المواعظ، وحضور مجالس العلم والعلماء.

ومن أسباب الثبات؛ نصر دين الله وسنة نبيه، والقيام بهما والدعوة إليهما والذب عنها، وكذلك كثرة ذكر الله ـ عز وجل ـ على كل حال، وترك مظالم الناس والتعدي عليهم.

وفي الحديث: خضوع النبي ﷺ وتواضعه، وتعليمه هذا الدعاء لأمته، وخص نفسه ﷺ بذكره؛ إعلاماً بأن نفسه الزكية إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله ـ سبحانه ـ فافتقار غيرها ممن هو دونه أحق بذلك.

وفيه: الإشارة إلى أهمية الاستقامة والثبات وأن العبرة بالخاتمة.

١٤٩٠ ـ وعن أبي الدَّرداء ـ رَضيَ الله عَنْهُ ـ، قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «كانَ من دُعاء دَاوُدَ ﷺ: «اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ من يُحِبُّكَ، وَالعمَل الذي يُبَلِّغُني حُبَّكَ اللهُمَّ اجْعل حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن نَفسي، وأَهْلي، ومِن الماءِ البارد» [رواهُ الترمذيُّ وَقَالَ: حديثٌ حسنٌ].

❁ محبة الله ـ عز وجل ـ من أعظم مقامات العبادة، عليها تسير رحى الطاعة والسير إلى الله؛ لأنها تسوق المؤمن إلى القرب، وترغبه في بذل الغالي والنفيس في طاعة الله ـ عز وجل ـ وأداء حقه؛ من صبر على الطاعات، وبعد عن المحرمات، وصبر ورضا بقضاءه ـ سبحانه وتعالى ـ.

وفي الحديث؛ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«كان من دعاء داود ﷺ» فيه الصلاة والسلام على غير نبينا ﷺ. وكان النبي ﷺ إذا ذكر داود وتحدث عنه قال: «كان داود أعبد البشر».

«اللهم» أي؛ يا الله.

«إني أسألك حبك» والمراد من محبة الله ـ تعالى ـ للعبد غايتها من التوفيق والإثابة، والثناء الحسن عليه.

وأصل المحبة هو معرفة الله ـ جل وعلا ـ.

«وحب من يحبك» من العلماء والصلحاء.

«والعمل الذي يبلغني حبك» أي؛ وحب العمل الذي يوصلني إلى محبتك ورضاك عني من الأفعال والأقوال والأعمال.

«اللهم اجعل حبك أحب إلي» أي؛ حبي إياك.

«من نفسي وأهلي» أي؛ من حبهما حتى أوثره عليهما.

«ومن الماء البارد» خص الماء البارد بالذكر لشدة ميل النفس ونزعها إليه زمن الصيف؛ فهو أحب المستلذات إليها؛ ولأنه في بعض الأحيان يعدل بالروح.

وعن بعض الفضلاء: الماء ليس له قيمة لأنه لا يشترى إذا وجد، ولا يباع إذا فقد.

ومما يعين على محبة الله ـ عز وجل ـ للعبد طاعته وتلاوة كتابه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والمسارعة إلى الخيرات والطاعات والنوافل، والبذل والصدقة، والتواضع للمؤمنين، والرحمة بهم والنصح لهم، والزهد في الدنيا، والجهاد في سبيل الله، والصبر على البلاء، وغير ذلك مما يحبه الله من الأفعال والأقوال والأعمال.

ومما يجعل العبد يحب الله ـ عز وجل ـ مطالعة آلائه ونعمه وفضله وجوده وكرمه، وتوحيده، والتفكر في مخلوقاته، ومطالعة مننه وسوابغ عطاياه وهباته، والتفكر في أسمائه الحسنى وصفاته العلا. وكذلك تلاوة القرآن والتدبر في معانيه، ومصاحبة الصالحين، ومجالس الذكر، والإحسان إلى الخلق وغير ذلك مما يحبه الله ويرضاه.

وفي الحديث: مشروعية الصلاة والسلام على جميع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وفيه: المبادرة إلى الخيرات والتسابق للطاعات فإن الله ـ عز وجل ـ يحب ذلك من العباد ويحبه لذلك.

وفيه: مجاهدة النفس وتقديم طاعة الله وطاعة رسوله على نفسه وأهله وكل ما تهوى نفسه وتشتهيه.

١٤٩١ ـ وعــن أَنَس ـ رضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ، قَالَ: قال رسُــولُ اللهِ ﷺ: «أَلِظُّــوا بِياذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ» [رواه الترمذي ورَواهُ النَّسَــائيُّ مِن رِوايةِ ربيعةَ بن عامرٍ الصَّحابيِّ. قَالَ الحاكم: حديثٌ صحيحُ الإِسْنَادِ].

أَلِظُّوا بكســر اللَّام وتشــديد الظاءِ المعجمةِ معْنَاه: الْزَمُــوا هذهِ الدَّعْوَةَ وأَكْثِرُوا مِنها.

❋ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الدعاء.

قــال ابن تيميــة: «إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه دعاءه والاســتعانة به، وجعل استعانته ودعاءه سبباً للخير الذي قضاه له، كما قال عمر بن الخطاب ـ رضــي الله عنه ـ: «إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه» كما أن الله إذا أراد أن يشبع عبداً ألهمه أن يتوب فيتوب عليه، وإذا أراد أن يرحمه ويدخله الجنة يســره لعمل أهل الجنة، والمشيئة الإلهية اقتضت وجود هذه الخيرات بأسبابها المقدرة لها، كما اقتضت وجود دخول الجنة بالعمل الصالح، ووجود الولد بالوطء، والعلم بالتعلم، فمبدأ الأمور من الله وتمامها على الله».

وفي هذا الحديث؛ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«ألظــوا» أي؛ الزمــوا هذه الدعوة وأكثروا منهــا، وثابروا وداوموا حتى يستمد القلب ويستشعر جلال الله، ويقر في النفس تعظيمه وهيبته، فيكرمه الله ببره ونعمه وفضله في الدنيا والآخرة.

«بياذا الجلال والإكرام» أي؛ يا ذا العظمة والكبرياء والإكرام لأوليائه.

قال الســعدي: «أي تعاظم وكثر خيره، الذي له الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه».

وقال ابن كثير: «أي؛ هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى».

«الجلال والإكرام» صفتان لله ـ تعالى ـ تجمعان الصفات المعتبرة في الألوهية.

وقيل: «الجلال والإكرام» اسم الله الأعظم، وهو أحد ما قيل في تعيين الاسم الأعظم.

وفي الآية: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦ـ ٢٧] وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨] قال السعدي: «العظمة والكبرياء والمجد الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود».

عن معاذ بن جبل قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: ياذا الجلال والإكرام، فقال: «قد استجيب لك فسل» [رواه الترمذي]. أي؛ ما تريد.

قال ابن القيم: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدفعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه، أن يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن».

وفي الحديث: الحث على الإكثار من الدعاء، وبدئه بهذه الكلمات الواردة في الحديث؛ لما فيها من الثناء التام لله ـ تعالى ـ ووصفه بصفات الكمال.

وفيه: دليل على أن استفتاح الدعاء بقول الداعي: يا ذا الجلال والإكرام؛ يكون سبباً في الإجابة وفضل الله واسع.

١٤٩٢ ـ وعن أبي أُمامةَ ـ رضيَ الله عنْهُ ـ قَالَ: دَعا رسُولُ الله ﷺ بدُعَاء كَثير، لم نَحْفَظْ منْهُ شَيْئاً، قُلْنا يا رَسُولَ الله دعوت بدُعاء كَثير لم نَحْفَظ منْهُ شَيْئاً، فقَالَ: «ألا أَدُلُّكم على ما يَجْمَعُ ذَلكَ كُلَّهُ؟ تَقُولُ: اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك من خَير ما سأَلَكَ منْهُ نبيُّك مُحمَّدٌ ﷺ، وأعُوذُ بكَ من شَرِّ ما اسْتَعاذَ منْهُ نَبيُّك مُحمَّدٌ ﷺ، وَأَنْتَ المُسْتَعَانُ، وعليْكَ البلاغُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله» [رواهُ الترمذيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ].

❋ في هذا الحديث؛ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: دعانا رسول الله ﷺ بدعاء كثير، لم نحفظ منه شيئاً.

قلنا: يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً.

فقال ﷺ:

«ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟» أي؛ مقصوده ومطلوبه؛ فهذا الدعاء المبارك جليل القدر.

«تقول: اللهم إني أسألك» أي؛ أطلب منك.

«من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ» لكمال نصحه ﷺ وحرصه على المؤمنين من أنفسهم، وهذا الدعاء الجليل يتضمن كل ما فات الإنسان من أدعية عن النبي ﷺ التي لم تبلغه أو لم يسمع بها، فهو يسأل كل مسألة النبي ﷺ بأوجز لفظ، وبأشمل معنى.

«وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ» أي؛ من الشرور الدنيوية بدناً أو أهلاً، أو الدينية حالاً أو مآلاً.

«وأنت المستعان» أي؛ المطلوب منه الإعانة لي على أموري كلها في الدين والدنيا والآخرة.

و**«المستعان»** اسم من الأسماء الحسنى.

«وعليك البلاغ» أي؛ الكفاية، أو ما يبلغ إلى المطلوب من خير الدارين.

«ولا حول ولا قوة إلا بالله» كلمة استسلام وتفويض إلى الله ـ تعالى ـ واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره ولاراد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر.

وقيل: لا حول للعبد في دفع شر، ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله.

وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بمعرفته.

وهذا الدعاء من أجمع الأدعية، إن لم يكن أجمعها، فإن فيه سؤال كل خير، والاستعاذة من كل شر؛ ثم النص على أفضل الخير، وهو الجنة والأعمال الصالحة المقربة إليها، والاستعاذة من أعظم الشر، وهو النار.

قال يحيى بن معاذ: «لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالذنوب».

وقال في عدة الصابرين: «من أعطي منشور الدعاء أعطي الإجابة، فإنه لو لم يرد إجابته لما ألهمه الدعاء».

وفي الحديث: مشروعية رفع الصوت بالدعاء بما يسمعه الجليس، وأنه لا يدخل في الجهر المنهي عنه.

وفيه: المداومة على الدعاء بهذا الدعاء الجامع لكل أدعية النبي ﷺ. وتظهر فائدة هذه الحديث خاصة لمن لا يحفظ من أدعية النبي ﷺ، وهذا من يسر الإسلام وسعة رحمة الله ـ تعالى ـ بعباده.

١٤٩٣ ـ وَعَن ابْنِ مسْعُود، ـ رضيَ الله عنْهُ ـ، قَالَ: كَانَ من دُعَاء رَسُول الله ﷺ: «اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مُوجبات رحْمتك، وَعزَائمَ مغفرتك، والسَّلامَةَ مِن كُلِّ إثم، والغَنِيمَةَ مِن كُلِّ بر، وَالفَوْزَ بالجَنَّة، وَالنَّجاةَ مِنَ النَّار» [رواهُ الحاكِم أبو عبد الله، وقال: حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ].

❊ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب فضل الدعاء الحث عليه.

وحقيقة الدعاء؛ إظهار العبد الافتقار إلى ربه، والتذلل إلى مولاه ـ سبحانه وتعالى ـ، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ـ عز وجل ـ بكل المحامد.

قال الخطابي: «ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه ـ عز وجل ـ العناية، واستمداده إياه المعونة».

وفيه؛ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال:

كان من دعاء رسول الله ﷺ:

«اللهم» أي؛ يا الله.

«إني أسألك» أي؛ أطلب منك.

«موجبات رحمتك» أي؛ ما يوجبها وأسبابها، وهي امتثال أمرك واجتناب نهيك.

قال الطيبي: «جمع موجبة وهي الكلمة الموجبة لقائلها الجنة. يعنى الأفعال والأقوال التي تحصل رحمتك بسببها».

«وعزائم مغفرتك» الأمور التي تقتضي وتتأكد بها مغفرتك. جمع عزيمة، وهي ما عزم الله على العباد أن يعيطوه ليغفر لهم.

قال السيوطي: «أي موجباتها؛ جمع عزيمة».

«والسلامة من كل إثم» أي؛ معصية. أي؛ من «كل» معصية و«كل» تفيد العموم والشمول.

قال العراقي: «فيه جواز سؤال العصمة من كل الذنوب، وقد أنكر بعضهم جواز ذلك إذ العصمة هي للأنبياء والملائكة، قال: والجواب أنها في حق الأنبياء والملائكة واجبة، وفي حق غيرهم جائزة؛ إلا أن سؤال الحفظ في حقنا لا العصمة، وقد يكون هذا المراد هنا».

«والغنيمة» الظفر.

«من كل بر» أي؛ الإكثار من كل خير وطاعة.

قال القاري: «أي طاعة وعبادة فإنهما غنيمة مأخوذة بغلبة دواعي عسكر الروح على جند النفس، فإن الحرب قائمة بينهما على الدوام، ولهذا يسمى الجهاد الأكبر؛ لأن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك».

«والفوز بالجنة» أي؛ الظفر بالجنة ودخولها. وهذا أعلى مطلوب.

«والنجاة من النار» أي؛ الخلاص من النار والنجاة من أشد مرهوب في الآخرة.

قال ابن القيم: «إذا كان كل خير أصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء، والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضلّه عن المفتاح بقي باب الخير مرتجاً دونه».

وفي الحديث: السعي في أعمال البر والطاعات، والبعد عن الشر والمعاصي.

وفيه: سؤال الله ـ عز وجل ـ موجبات رحمته، والبعد عن معاصيه.

٢٥١ ـ باب فضل الدُّعاء بظهر الغيب

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل الدعاء بظهر الغيب؛ أي في غيبة المدعو له؛ إذا لحق إخوته من حيث الإيمان؛ وذلك لأن الدعاء لأخيك بظهر الغيب يدل دلالة واضحة على صدق الإيمان وعلى الأخوة والمحبة الصادقة بين المؤمنين، لأن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» فإذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب كان هذا دليل محبته وأنه يحب له الخير كما يحب لنفسه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي؛ من بعد المهاجرين والأنصار، وهم: التابعين بإحسان.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أثنى عليهم الباري بدعائهم للمؤمنين السابقين الغائبين عنهم حال الدعاء لهم.

وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، ويدعو بعضهم لبعض، وقد وصفوهم بالسبق بالإيمان اعترافاً بفضلهم ومعرفة لحقهم ومنزلتهم.

وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾ [محمد: ١٩].

أي؛ ادع لهم ولهن بغفر الخطايا أجمع كما نوه به حذف المعمول أمره بالاستغفار، ومن المعلوم أنهم حينئذ غير حاضرين؛ لأنهم يظهرون جيلاً فجيلاً.

وقال ـ تعالى ـ إخباراً عن إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ۝٤١﴾ [إبراهيم: ٤١].

فيه الدعاء للمؤمنين فهو كالذي قبله.

قال المفسرون: استغفر لوالديه قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله، ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة؛ لأن الله ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه.

قال ابن تيمية: «أسرع الدعاء إجابة دعاء غائب لغائب».

وقال ابن القيم: «وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يختلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدّاً فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة؛ من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وغلبتها عليه كما في مستدرك الحاكم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب لاه» فهذا دواء نافع مزيل الداء ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته، وكذلك أكل الحرام يبطل قوتها ويضعفها، قال أبو ذر: «يكفي الدعاء من البر ما يكفي الطعام من الملح».

١٤٩٤ ـ وَعَن أَبي الدَّرداء ـ رَضي الله عنْهُ ـ أَنَّهُ سمعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «ما مِن عبْدٍ مُسْلِمٍ يَدعُو لأَخِيهِ بِظَهرِ الغَيْبِ إِلاَّ قَالَ المَلَكُ ولَكَ بِمثْلٍ» [رواه مسلم].

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب فضل الدعاء بظهر الغيب.

عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«ما من عبد مسلم يدعو» بدعوة طيبة صالحة.

«لأخيه» أي؛ في الإسلام.

قال القرطبي: «المسلم هنا هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، الذي يحب للناس ما يحب لنفسه، وهو الذي يحمله حاله وشفقته على أخيه المسلم أن يدعو له بظهر الغيب، فيوافقه الملك في الدعاء ويبشره على لسان رسول الله ﷺ بأن له مثل ما دعا لأخيه. والأخوة هنا؛ الأخوة الدينية، وقد يكون معها صداقة ومعرفة وقد لا يكون».

«بظهر الغيب» أي؛ في غيبة المدعو له وفي سره؛ لأنه أبلغ في الإخلاص.

«إلا قال الملك» الموكل بذلك.

«ولك بمثل» أي؛ بمثل ما دعوت له وعديله.

وفي الحديث؛ عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «أن أسرع الدعاء إجابة غائب لغائب» [رواه أبو داود].

قال النووي: «فيه فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت له هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضاً».

وقال ـ رحمه الله ـ: «وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنها تستجاب، ويحصل له مثلها».

قال شيخ الإسلام: «ومن المشروع في الدعاء؛ دعاء غائب لغائب، ولهذا أمر النبي ﷺ بالصلاة عليه، وطلبنا الوسيلة له، وأخبر بمالنا في ذلك من الأجر إذا دعونا بذلك، فقال في الحديث: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا علي، فإن من صلى عليه مرة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة..**» ولكن النبي ﷺ لما أمرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ذكر أن من صلى عليه مرة صلى **الله** بها عليه عشراً، وأن من سأل **الله** الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة، فكان طلبه منا لمنفعتنا في ذلك، وفرق بين من طلب من غيره شيئاً لمنفعه المطلوب منه، ومن يسأل غيره لحاجته إليه فقط».

قال ابن حجر: «كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة؛ فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضة..».

وقال ابن القيم: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدهما: أن يكن أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوماً ويمنع كل واحد منهما صاحبه».

وفي الحديث: أن الدعاء للمسلم بظهر الغيب يحصل به الداعي مثل دعوته، وأن دعوته لا ترد، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه دعا لأخيه المسلم بتلك الدعوة.

١٤٩٥ ـ وعَنْهُ أَنَّ رسُــول الله ﷺ كانَ يقُولُ: «دَعْوةُ المرءِ المُسْـلم لأَخيه بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجابةٌ، عِنْد رأْسِهِ ملَكٌ مُوكَّلٌ كلَّمَا دعا لأَخِيهِ بخيرٍ قَال المَلَكُ المُوكَّلُ بِهِ: آمِينَ، ولَكَ بمِثْلٍ» [رواه مسلم].

❊ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب فضل الدعاء بظهر الغيب.

وقد أوجب الإسلام الأخوة بين المسلمين، وأمر بالمودة والرحمة والتآلف، ونفع بعضهم لبعض؛ ومن أعظم النفع وأكثره أثراً في الدنيا والآخرة الدعاء له وسؤال الله ـ عز وجل ـ له.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ:

أن رسول الله ﷺ كان يقول:

«دعوة المرء المسلم لأخيه» المسلم.

«بظهر الغيب» أي؛ في غيبة المدعو له وعدم حضوره؛ لأنه أبلغ في الإخلاص.

«مستجابة» أي؛ مجابة، والسين للمبالغة.

«عند رأسه ملك موكل» أي؛ ملك مأمور بهذا العمل خاصة.

«كلما دعا لأخيه بخير» أي؛ كلما سأل وطلب لأخيه المسلم بخير.

«قال الملك الموكل به» أي؛ ملك مأمور بهذا العمل خاصة.

«آمين» فعل أمر بمعنى استجب. والملائكة لا تؤمن إلا على خير.

«ولك بمثل» أي؛ بمثل ما دعوت لأخيك المسلم. فإن الجزاء من جنس العمل، وفضل الله واسع.

قال أبو بكر الطرطوشي: «وهذا الحديث يفيد فائدة عظيمة، لأن إذا استجيب لك في أخيك لأنه غائب عنك، رجونا أن يستجاب للمك فيك؛ لأنك غائب عنه».

قال ابن تيمية: «كثيراً من المرضى يشفون بلا تداوي؛ إما بدعوة مستجابة، أو رقية نافعة، أو قوة للقلب، وحسن للتوكل».

وقال ابن القيم: «إذا كان كل خير أصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطي العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجاً دونه».

وفي الحديث: استحباب أن يدعو المسلم لنفسه ولأخيه المسلم، لتستجاب دعوته ويحصل له مثلها.

وفيه: فضل الدعوة للإخوة بظهر الغيب، وأنه مستجاب لا يرد.

وفيه: تحصل الفضيلة بالدعاء لجماعة من المسلمين؛ أو لجميع المسلمين.

٢٥٢ ـ باب في مسائل من الدعاء

١٤٩٦ ـ عنْ أُسَــامَةَ بْنِ زيْدٍ ـ رضِيَ الله عنْهُما ـ قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صُنعَ إلَيْهِ معْرُوفٌ، فقالَ لِفَاعِلِهِ: جزَاكَ الله خَيْراً، فَقَدْ أَبْلَغَ في الثَّناءِ» [رواه الترمذي وقَالَ: حَدِيثٌ حسنٌ صَحِيحٌ].

❊ الناس فــي هذه الدنيا ينفع بعضهم بعضاً، ويحســن بعضهم إلى بعض، والخلق الكريم يقتضي مكافأة من يؤدي إليك معروفاً.

وقد أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب في مســائل من الدعاء.

وفي الحديث؛ عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«من صُنع إليه معروف» بمال، أو مســاعدة، أو كســوة، أو علم، أو دفع مضــرة، أو غير ذلك، فإن النبي أمــر أن تكافئ صانع المعروف. والمكافأة تكون بحسب الحال.

«فقال لفاعله» أي؛ لصانعه ومقدمه.

«جــزاك الله خيــراً» التنكير فيه للتعظيــم؛ لأن الله ـ عز وجل ـ إذا جزاه خيراً، كان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة.

والمعنى: أي؛ أطلب من الله أن يثيبك خيراً كثيراً.

قــال بعض العلماء: «لا تقل جــزاك الله ألف خير، فإن التحديد بألف خير ليس أبلغ، ولا يحدد مقدار الثواب والجزاء إلا الله ـ عز وجل ـ فهو الذي يضاعف أضعافاً».

«فقد أبلغ في الثناء» أي؛ بالغ في ثنائه على فاعله، وجازى المحســن إليه بأحسن مما أسداه إليه.

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «لو يعلم أحدكم ما له في قوله لأخيه: جزاك الله خيراً، لأكثر منها بعضكم لبعض».

قال الطيبي: «وذلك أنه اعتراف بالتقصير، وأنه ممن عجز عن جزائه وثنائه، ففوض جزاءه إلى الله ـ تعالى ـ ليجزيه الجزاء الأوفى».

قال ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «المكافأة تكون بحسب الحال؛ من الناس من تكون مكافأة أن تعطيه مثل ما أعطاك أو أكثر، ومن الناس من تكون مكافأته أن تدعو له، ولا يرضى أن تكافأه بمال، فإن الإنسان الكبير الذي عنده أموال كثيرة، وله جاه وشرف في قومه إذا أهدي إليه رأى في ذلك قصوراً في حقه، لكن مثل هذا أدع الله له، «**فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**» ومن ذلك أن تقول «**جزاك الله خيراً**» وذلك لأن الله تعالى ـ إذا جزاه خيراً كان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة».

وفي الحديث: قبول الدعاء من المؤمن، وعدم المن بالإحسان، والاعتراف بالجميل لأهله.

وفيه: مشروعية الدعاء لمن فعل المعروف حسياً أو معنوياً.

وفيه: التحريض على عمل الخير وإسداء المعروف للمسلمين.

١٤٩٧ ـ وَعَن جَابر ـ رَضيَ الله عَنْه ـ قال: قَال رسُولُ الله ﷺ: «لا تَدعُوا علَى أَنْفُسكُم، وَلَا تدْعُوا عَلى أَولادكُم، ولا تَدْعُوا على أَمْوالِكُم، لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ ساعة يُسأَلُ فِيهَا عَطاءً، فيَسْتَجيبَ لَكُم» [رواه مسلم].

❋ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب في مسائل من الدعاء.

وفي هذا الحديث؛ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم**» أي؛ بشر، وهو ضد الخير.

«**ولا تدعوا على أموالكم**» وهذا يقع كثيراً عند الغضب.

«**لا توافقوا**» علة للنهي. أي؛ لئلا توافق الدعوة ساعة الإجابة حال الدعاء. فيوافق القضاء.

«**من الله ساعة**».

قال في عون المعبود: «أي لئلا تصادفوا ساعة إجابة ونيل فتستجاب دعوتكم السوء».

قال الطيبي: «نهيٌّ للداعي، وعلة للنهي؛ أي؛ لا تدعوا على أنفسكم وعلى أولادكم كي لا توافقوا ساعة الإجابة فتندموا».

«**يسأل فيها عطاء**» أي؛ يسأل الله فيها أي شيئاً مُعطى.

«**فيستجيب لكم**» لكون الوقت وقت إجابة.

ورواه أحمد ومسلم وأبو الدرداء من حديث أم مسلمة بلفظ «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**».

قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الإسراء: ١١] قال ابن عباس وغيره: هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند

الضجر بما لا يُحب أن يستجاب له: اللهم أهلكه ونحوه.

﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ أي؛ كدعائه ربه أن يهب له العافية. فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشر هلك، لكن بفضله لا يستجيب له في ذلك».

والمشروع؛ الدعاء بالخير وطلب المعونة من الله ـ عز وجل ـ.

وكان من دعاء الأنبياء لذرياتهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ومن دعائهم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

قال ابن القيم: «من أراد الله به خيراً فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجأ إلى الله ـ تعالى ـ والافتقار إليه».

وفي الحديث: النهي عن الدعاء على النفس والأولاد أو المال بشيء من الضرر، لئلا يصادف هذا الدعاء القبول.

١٤٩٨ ـ وعن أَبي هُريرةَ ـ رضي الله عنهُ ـ أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ ما يَكُونُ العَبْدُ مِن ربِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» [رواه مسلم].

❊ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد الأحاديث في باب في مسائل من الدعاء.

والسجود لله ـ عز وجل ـ من أعظم دلائل الإجلال، وتمريغ الوجه في التراب أقصى علامات التذلل لذي الجلال والسلطان فهو أقصى درجات العبودية، وأجل مظاهر التذلل، وأصدق دلائل الإذعان، وأعذب مناظر الخشوع، وأفضل ثواب الافتقار. وهو انطراح للجبار وتذلل للقهار.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«أقرب ما يكون العبد من ربه» أي؛ من رحمة ربه وفضله.

وفيه؛ الحث على الدعاء في السجود.

«أقرب» استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن السجود أفضل من القيام.

«وهو ساجد» أي؛ في حال السجود في الصلاة. وفي الآية الكريمة ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العلق: ١٩].

ومعنى كون العبد أقرب إلى الله ـ تعالى ـ حالة السجود من بين سائر أحواله؛ لأن حاله يدل على غاية التذلل واعتراف بعبودية نفسه، وربوبية ربه، فكانت مظنة للإجابة.

قال ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «وذلك لأن الإنسان إذا سجد فإنه يضع أشرف ما به من الأعضاء في أماكن وضع الأقدام التي توطأ بالأقدام، وكذلك أيضاً يضع أعلى ما في جسده، حذاء أدنى ما في جسده، يعنى أن وجهه أعلى ما في جسده، وقدميه أدنى ما في جسده فيضعهما في مستوى

واحد خضوعاً وتذللاً وتواضعاً لله ـ عز وجل ـ، ولهذا كان أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، وقد أمر النبي ﷺ فيما سبق بالإكثار من الدعاء في حال السجود، فيجتمع في تلك الهيئة والمقال تواضعاً لله ـ عز وجل ـ، ولهذا يقول الإنسان في سجوده: سبحان ربي الأعلى، إشارة إلى أنه ـ جل وعلا ـ هو العلي الأعلى في ذاته وفي صفاته، وأن الإنسان هو السائل النازل بالنسبة لجلال الله وعظمته».

«فاكثروا الدعاء» أي؛ في حال السجود رجاء الإجابة.

وهذا التوجيه منه ﷺ يدل على حرصه على تعليم أمته الخير وأسبابه وأبوابه، فصلاة ربي وسلامه عليه.

وفي الحديث: أن الطاعة تزيد العبد قرباً من الله، وكلما ازداد العبد طاعة استجاب الله دعاءه.

وفيه: أن السجود من مواطن إجابة الدعاء؛ فعلى العبد أن يكثر من الدعاء طالباً من الله خيري الدنيا والآخرة.

وفيه: أن السجود من العبادات العظيمة، والطاعات الكريمة، التي تقرب من الله ـ عز وجل ـ وتدني من رحمته وإحسانه.

١٤٩٩ ـ وَعَنْهُ أَنَّ رَسُـول الله ﷺ قَالَ: «يُسْـتجَابُ لأَحَدِكُم ما لَم يعْجلْ: يقُولُ قَد دَعوتُ رَبِّي، فَلم يسْتَجِبْ لي» [متفقٌ عليه].

وفي رِوَايَة لمُسْلم: «لا يزَالُ يُسْتَجَابُ للعَبْد مَا لَم يدعُ بإثم، أَوْ قَطيعة رَحِم، ما لَمْ يَسْتعْجلْ» قيلَ: يَا رسُولَ الله مَا الاسْتعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دعَوْتُ، وَقَدْ دَعوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْد ذلك، ويَدَعُ الدُّعَاءَ».

❊ لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد جملة من الأحاديث في باب من مسائل الدعاء.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«يستجاب لأحدكم» أي؛ العبد الصالح لقبول دعائه، فإن إجابة الدعوة لابد لها من شروط في الداعي، وفي الدعاء، وفي الشيء المدعو به.

«ما لم يعجل» مدة عدم العجلة.

قال العلماء: «قوله «ما لم يعجل» يعني يسأم الدعاء؛ ويتركه فيكون كالمان بدعائه، وأنه قد أتى من الدعاء ما كان يستحق به الإجابة، فيصير كالمبخل لرب كريم، لا تعجزه الإجابة، ولا ينقصه العطاء، ولا تضره الذنوب».

«يقول قد دعوت ربي» هذا بيان وتفسير للعجلة.

«فلم يستجب لي» وذلك لأن الله ـ تعالى ـ قد جعل لكل شيء قدرا، وقد منَّ بإجابة دعوة من دعاه لكن في الوقت الذي قدره ـ سبحانه ـ وقضاه، وقد جعل الله لك شيء قدراً، فلا يتقدم شيء عن أوانه ولا يتأخر عن أوانه.

وفي رواية لمسلم:

«لايزال يستجاب للعبد» أي؛ دعاؤه.

«ما لم يدع بإثم» أي؛ بمعصية.

«أو قطيعة رحم» أي؛ الهجر والصد. أي؛ ترك البر إلى الأهل والأقارب.

«ما لم يستعجل» قال ابن القيم: «ومن الآفات التي تمنع أثر الدعاء أن يتعجل العبد ويستبطئ الإجابة، فيستحسر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً فجعل يتعاهده ويسقيه فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله».

(قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟) أي؛ المرتب عليه المنع من الإجابة؟

«قال: يقول قد دعوت وقد دعوت» أي؛ تكرر مني الدعاء، وذكر الاثنين المراد به الإشارة إلى كثرة الدعاء وتكراره لا خصوص الاثنينية.

«فلم أر يستجب لي» أي؛ ما رأيت ثمرة دعائي وقبوله.

«فيستحسر عند ذلك» فيعيي ويمل، أي؛ يتعب من الاستعجال؛ والله ـ سبحانه وتعالى ـ يجيب دعوة الداع إذا دعاه فإما أن يعجلها في الدنيا، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها.

«ويدع الدعاء» أي؛ ويترك الدعاء. وهذا من جهل الإنسان، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يمنعك ما دعوته به إلا لحكمة، أو لوجود مانع يمنع من إجابة الدعاء. فإن الإجابة حاصلة لكن تكون تارة معجلة وتارة مؤخرة.

قال ابن جريج: «إن دعوة موسى وهارون على فرعون لم تظهر إجابتهما إلا بعد أربعين سنة».

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أن يلازم الطلب، ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار».

وفي الحديث: أن يدعو المسلم ربه، وأن يكون دعاؤه بخير، وأنه يستجاب ما لم يدع بإثم أو يستعجل.

وفيه: أن الاستعجال المانع من الإجابة هو الذي يؤدي إلى ترك الدعاء.

وفيه: أن الأمر كله بيد الله، وقد جعل لكل شيء قدراً؛ فلا يستعجل ـ سبحانه ـ بعجلة عباده.

١٥٠٠ ـ وَعَنْ أَبِي أُمامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمعُ؟ قَالَ: «جوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المكْتُوباتِ» [رواه الترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ].

❀ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث في باب من مسائل الدعاء. والدعاء عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، ووسيلة لمناجاته ـ عز وجل ـ، واللجوء إليه في السراء والضراء. ومن مواطن وأوقات الإجابة التي حث عليها النبي ﷺ: يوم الجمعة، والدعاء حال السجود، ودعاء الصائم والمسافر، ويوم عرفة، وجوف الليل، وغير ذلك من الأوقات والأزمنة الفاضلة.

وفي هذا الحديث؛ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل لرسول الله ﷺ:

(أي الدعاء أسمع؟) أي؛ أقرب وأرجى للإجابة؟

قال ﷺ:

«جوف الليل الآخر» أي؛ آخر الليل؛ وذلك لأن الله ـ عز وجل ـ ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: «من يدعوني فأستجب له؟ من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له».

وقيل وسطه، وفي حديث داود أن أفضل القيام قيام الثلث بعد نوم النصف وينام السدس الأخير. وإنما كان ذلك حينئذ لكمال التوجه وفقد العلائق والعوائق لأنه وقت التجليات الإلهية، وتنزل الفيوض الربانية.

قال ابن تيمية: «والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجه والتقرب والرقة ما لا يوجد في غير ذلك الوقت».

وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ على قوام الليل بقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦]

وجاء عن يعقوب ما ذكر الله عز وجل: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] قال ابن عباس: «أخر دعاءه إلى السحر».

«ودبر» أي؛ عقب الصلاة وقيل آخرها قبل السلام، وهذا قد أرشد إليه النبي ﷺ حين ذكر التشهد، ثم قال بعد ذلك: «ثم ليتخير من الدعاء ما يشاء» وليس المراد بأدبار الصلوات ما بعد السلام، لأن ما بعد السلام في الصلوات ليس محل دعاء إنما هو محل ذكر، كما قال تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

قال ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «أن ما قُيد بدبر الصلاة إن كان ذكراً فهو بعدها، وإن كان دعاء فهو في آخرها».

«الصلوات المكتوبات» أي؛ الفرائض، وذلك لأن الصلاة مناجاة العبد لربه ومحل مسألته من فضله؛ وبعد تمام العمل يظهر الأمل.

قال يحيى بن معاذ: «لا تستبطيء الإجابة وقد سددت طريقها بالذنوب».

وفي الحديث: حرص الصحابة على الخير وسؤال النبي ﷺ عن ذلك.

وفيه: بيان أرجى الأوقات لإجابة الدعاء، وعلى المسلم أن يكثر من الدعاء فيه.

١٥٠١ ـ وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامت ـ رضي الله عنهُ ـ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا عَلى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ ـ تَعالى ـ بِدَعْوَةٍ إلاَّ آتَاهُ اللهُ إيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا. ما لَم يَدْعُ بإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رحِمٍ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إذاً نُكْثِرُ. قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ» [رواه الترمذي وقال حَديثٌ حَسنٌ صَحِيحٌ: وَرَوَاهُ الحاكِمُ مِنْ رِوايةِ أَبي سعيدٍ وَزَادَ فِيهِ: **«أَوْ يَدَّخر لهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَها»**].

❋ هذا الحديث؛ أورده المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب من مسائل الدعاء.

فإن الدعاء أساس العبادة وروح قوامها؛ لأن الداعي إنما يدعو الله ـ عز وجل ـ وهو عالم يقيناً أنه لا أحد يستطيع أن يجلب له خيراً أو يدفع عنه ضراً إلا الواحد الأحد الفرد الصمد، وهذه هي حقيقة التوحيد والإخلاص، ولا عبادة أعظم منها.

وراوي الحديث؛ هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، كان أحد من بايع رسول الله ﷺ في منى بيعة العقبة، وكان فيها أحد النقباء، شهد بدراً والمشاهد كلها وكان شجاعاً مقداماً، أماراً بالمعروف نهاءً عن المنكر، توفي ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين للهجرة.

وفي الحديث؛ عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ.

أن رسول الله ﷺ قال:

«ما على الأرض مسلم يدعو الله ـ تعالى ـ بدعوة» أي؛ المرة من الدعاء، والتنوين فيه للشيوع يشمل الدعاء بالجليل والحقير، وبالقليل والكثير.

«إلا آتاه الله» أي؛ أعطاه الله.

«إياها» أي؛ حالاً أو بعيد.

«أو» للتنويع.

«صرف عنه من السوء مثلها» أي؛ منع عنه بدعوته المسؤولة ما يكون نفع دفعه كنفع حصولها؛ لأن الله ـ عز وجل ـ لا يخيب من سأله ورجاه.

قال المباركفوري: «صرف عنه من السوء» أي؛ البلاء النازل أو غيره في أمر دينه أو بدنه.

«مثلها» أي؛ مثل تلك الدعوة كمية وكيفية إن لم يقدر له وقوعه في الدنيا.

«ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» لأن الدعاء بالإثم ظلم.

فقال رجل من القوم لما سمع ذلك الفضل العظيم (إذا نكثر) أي؛ من الدعاء والطلب.

قال ﷺ «الله أكثر» أي؛ أكثر إحساناً ونوالاً مما تطلبون. أي؛ يعطيه من فضله وسعة كرمه أكثر مما يعطيكم في مقابلة دعائكم.

قال الطيبي: «أي الله أكثر إجابة من دعائكم».

وزاد فيه «أو يدخر له من الأجر مثلها».

قال ابن عبد البر: «فيه دليل على أنه لا بد من الإجابة على إحدى هذه الأوجه الثلاثة».

وقال ابن حجر: «كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة: فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه».

وفي الحديث: فضل الدعاء وأنه إما أن يستجاب للداعي أو يصرف عنه من السوء بقدره، أو يدخرها له في الآخرة. وأن ما عند الله من الخير أكثر مما يطلب الناس ويسألون.

وفيه: استحباب كثرة الدعاء وانتظار الإجابة والحث على ذلك.

١٥٠٢ ـ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنْهُما ـ أَنَّ رسُــولَ الله ﷺ كَان يقُولُ عِنْد الكرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلاَّ الله العظِيمُ الحلِيمُ، لا إله إِلاَّ الله رَبُّ العَرْشِ العظِيمِ، لا إِلَهَ إِلاَّ الله رَبُّ السمَوَاتِ، وربُّ الأَرْضِ، ورَبُّ العرشِ الكرِيمِ» [متفقٌ عليه].

❋ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من الأحاديث في باب في مسائل الدعاء. وفي هذا الحديث؛ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ:

(كان يقول عند الكرب) وهو الأمر الذي يشق على الإنسان ويملأ صدره غيظاً.

«لا إله إلا الله العظيم» قدراً.

«والعظيم» اسم جليل لله ـ عز وجل ـ يدل على عظمة الذات، والصفات.

«الحليم» فلا يعاجل بالعقوبة، وهو إلى الصفح والعفو أقرب. ووجه ذكر الحليم لأن كرب المؤمن غالباً يكون بسبب تقصير في حق ربه، فإن المصائب بسبب الذنوب، وقد يكون حصول الكرب بسبب الغفلة.

«لا إله إلا الله رب العرش العظيم» أي؛ مالك كل شيء وخالقه ومصلحه.

والعرش: هو سرير الملك، استوى عليه ـ تعالى ـ استواء يليق بجلاله وعظمته.

«لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض» أي؛ مالك كل شيء وخالقه ومصلحه.

«ورب العرش» العرش هو: أعظم المخلوقات وأوسعها، وعليه استوى ربنا استواء يليق بجلاله، وله قوائم، ويحمله حملة من الملائكة عظام الخلق.

«الكريم» الكريم: صفة العرش ووصف به لأن الرحمة تتنزل منه، أو لأنه منسوب إلى أكرم الأكرمين لا إله إلاهو، وفي الاتيان بهذه إيماء إلى أن الدواء من الكرب توحيد الله ـ عز وجل ـ وعدم النظر إلى سواه أصلاً، فمن صفا له هذا المشرب فرج عنه الكرب، ونال من الفضل الأسنى ما أحب.

وفي تكرير ذكر (العرش) لأنه أعظم المخلوقات والموجودات، وتنبيهاً على عظم شأن خالقه ـ عز وجل ـ فإن من كان كذلك لا يعجزه شيء.

قال العيني: «اشتملت الجملة الأولى على التوحيد الذي هو أصل التنزيهات المسماة بالأوصاف الجلالية، وعلى العظمة التي تدل على القدرة العظيمة إذا العاجز لا يكون عظيماً، وعلى حلم الذي لا يتصور من الجاهل إذا الجاهل بالشيء لا يتصور منه الحلم، واشتملت الجملة الثانية على التوحيد والربوبية وعظم العرش، ووجه ذكر الرب من بين سائر الأسماء الحسنى هو كونه مناسباً لكشف الكرب، ووجه تخصيص العرش بالذكر كونه أعظم أجسام العالم، وخص السموات والأرض بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات».

قال النووي: «هذا حديث جليل ينبغي الاعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة».

وقال الطبري: «كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب».

وفي الحديث: أن هذا الدعاء إذا قاله الإنسان عند الكرب كانت سبباً لتفريج كربه.

وفيه: أن الدواء الشافي عند الشدائد وغيرها هو توحيد الله ـ عز وجل ـ ومنجاته بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الفهرس

رقم الصفحة

المقدمة ٥
باب فضل الذكر والحث عليه ٦
باب ذكر الله ـ تعالى ـ قائماً وقاعداً ومضطجعاً ومحدثاً وجنباً وحائضاً إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض ٨٤
باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه ٩٠
باب فضل حلق الذكر والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر ٩٢
باب الذكر عند الصباح والمساء ١٠٣
باب ما يقوله عند النوم ١٢٠
باب فضل الدعاء ١٣٦
باب فضل الدعاء بظهر الغيب ٢٠١
باب في مسائل من الدعاء ٢٠٧
الفهرس ٢٢١